صورة الطفولة في التربية الإسلامية

تأليف

أحمد محمد الزيادي د. إبراهيم ياسين الخطيب

2000

صورة الطفولة
في التربية الإسلامية

■ تأليف د . إبراهيم ياسين الخطيب ، أحمد محمد الزبادي

■ صورة الطفولة في التربية الإسلامية

■ الطبعة الأولى / الإصدار الاول ٢٠٠٠

■ الناشر / الدار العلمية الدولية للنشر والتوزيع ودار الثقافة للنشر والتوزيع

عمان- وسط البلد-ساحة الجامع الحسيني- عمارة الحجيري

هاتف ٤٦٤٦٣٦١ فاكس ٤٦١٠٢٩١ ص . ب ١٥٣٢ عمان- الاردن

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٠/٢/٥٥٩)

رقم التصنيف:	٢٦٥,٣
المؤلف ومن هو في حكمه:	ابراهيم ياسين الخطيب، أحمد محمد الزبادي
عنوان الكتاب:	صورة الطفولة في التربية الاسلامية
الموضوع الرئيسي:	١-الاسلام – علاقات أسرية ٢-
بيانات النشر:	عمان: مكتبة دار الثقافة

تم اعداد بيانات الفهرسة الاولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حرصاً على مصلحة أبنائنا الطلبة في الجامعات وكليات المجتمع ولاسيما الذين يدرسون التربية ، وإيمانا بتوعية كل فرد بالتراث الإسلامي للمحافظة عليه ، واكتساب العبرة منه ، علّ ذلك ينير درب المستقبل ، وإبرازاً لتراث السلف الصالح ، فإنه يسرنا أن نضع بين يدي القارئ الكريم كتاب «صورة الطفولة في التربية الإسلامية» ، آملين من ذلك تحقيق الأهداف التالية :

أ- أن يتعرف الدارس على التراث التربوي العربي الإسلامي بشكل علمي وموضوعي لتكوين رؤية واضحة للإطار العام الذي يشكل تربية الطفل من منظور إسلامي .

ب- أن يتعرف الدارس إلى مفهوم الطفولة في الإسلام والمبادئ العامة والخطوط الرئيسة للطفولة في التربية الإسلامية .

جـ- أن يتعرف الدارس على أساليب تربية الطفل من منظور تربوي إسلامي كما يتمثل في مصنفات وتآليف كبار المفكرين الإسلامي في التراث الفكري التربوي الإسلامي .

د- أن يتكون لدى الدارس بصيرة تربوية إسلامية من خلال قراءة وتحليل نصوص تربوية لكبار المفكرين الإسلاميين مثل ابن سحنون والزرنوجي والقابسي والخطيب البغدادي والغزالي وابن سينا وابن جماعة وابن مسكويه وابن خلدون وغيرهم ممن أ قاموا صرحاً شامخاً متميزاً في الفكر التربوي العربي الإسلامي .

وتسهيلاً للدراسة قدمنا الحد الأدنى من المعلومات لأبنائنا الطلبة ، تاركين لهم العودة إلى النصوص التي أثبتنا معظمها في نهاية الكتاب ، وقد قسمنا مادة الكتاب إلى ست وحدات ، تناولت الوحدة الأولى مفهوم التربية الإسلامية ، وتحدثت الثانية

عن مكانة الطفولة في الإسلام كما صورها القرآن الكريم ، وعالجت الوحدة الثالثة حضانة الطفل بعد الفطام ، وفي الوحدة الرابعة ركزنا على حقوق الطفولة في الإسلام ، وفي الوحدة الخامسة تحدثنا عن مؤسسات تعليم وتأديب الأطفال ، وركزنا في الوحدة السادسة على الأصول التربوية التي اتبعها مؤدبو الأطفال .

لقدحرصنا أن نقدم المعلومات الأساسية لموضوع هذا الكتاب ،باسلوب سلس تدريباً للطالب على البحث ، وكتابة التقارير ، وتحليل الآيات القرآنية والنصوص التربوية التي خلفها لنا الأجداد .

نرجو أن نكون قد ساهمنا في تحقيق الأهداف المرجوة المنشودة ، والله سبحانه يهدينا سبيل الرشاد ، أنه نعم المولى ونعم النصير .

الوحدة الأولى

مفهوم التربية الإسلامية ومبائها الطفولة وأهميتها في الإسلام

أ- أصول التربية الإسلامية في القرآن والسنة :

الخلق الهادف ، الفرد والمجتمع ،الدنيا والآخرة ، الجسد والنفس ، العقل والوجدان .

ب- خصائص التربية الإسلامية :

الشمول والتكامل والتوازن ، ديمقراطية التربية ، وتكافؤ الفرص .

جـ- النزعة الإنسانية للتربية الإسلامية .

الطفولة وأهميتها في الإسلام

الإسلام منهج الله سبحانه وتعالى الذي ارتضاه لعباده المؤمنين عقيدة ونظام حياة ، ولا يتحقق ذلك إلا إذا طبق كاملاً في مجتمع مسلم اتخذ الإسلام كعقيدة وطريقة حياة .

لذلك حرص الإسلام على وضع الأسس التي تمهد لوجود المجتمع الإسلامي ، فاهتم بالأسرة معتبراً إياها القاعدة الرئيسة للمجتمع .

كما أهتم الإسلام بالوالدين باعتبارهما الركن الأساس للأسرة ، فبين حقوق وواجبات كلا منهما ، لضمان تكوين أسرة قوية ، كما اهتم بالأطفال باعتبارهم اللبنات التي تكون الأسرة . لقد ضرب لنا محمد عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى في بناء الأسرة السليمة ، فكان يوصي بمعاملة الأطفال معاملة لينة ، ويضرب المثل الحي بنفسه ، فيلاطف الأطفال ويداعبهم ،ويروى أن الحسن والحسين دخلا عليه وهو يصلي ، وكانا طفلين ، فوثب أحدهما على ظهره وهو ساجد ، فبقي ساجداً إلى أن نزل عن ظهره من نفسه .

وتأثر بهذا السلوك النبوي صحابته الأكرمون ، فقيل أن عمر بن الخطاب عزل أحد الولاة عندما اكتشف أنه يقسو على الأطفال ، ولا يلاطفهم ولا يلاعبهم .

وأهتم الإسلام بصحة الأطفال ، فأوجب على الدولة مساعدة الآباء في تأمين غذاء جيد للأطفال ، فقد فرض عمر لكل مَنْ تفطم ابنها عن الرضاعة مبلغاً من المال لشراء طعام له ، وكانت بعض النساء تفطم أطفالها قبل الأوان لتضمن أخذ الأعطيات من الخليفة ،فلما علم عمر بذلك ، جعل لكل طفل راتباً سواء أكان مفطوماً أو رضيعاً .

وحث الإسلام الآباء على تعويد الأطفال على المهارات الرياضية كالفروسية ، والسباحة ، وركوب الخيل والرمي . فأثمرت هذه التربية في إفراز جيل مسلم ثل عَرْشي الدولتين الأعظم آنذاك ، الفرس والبيزنطيين .

وحرص الإسلام على تثبيت العقيدة في نفوس الأطفال منذ نعومة أظفارهم ، فحث الآباء والأمهات على تعليم أطفالهم مبادئ الإسلام ، وتلقينهم الشهادتين ، وإكسابهم مبادئ الإسلام الأخلاقية ، كالصدق والأمانة واتقان العمل ، وعدم الإيذاء ،وحب الخير ، ومساعدة المساكين وحسن التعامل مع الآخرين .

كما حث الآباء على تحبيب العبادة إلى أطفالهم ، باصطحابهم إلى المساجد وهم صغار ، ثم تعليمهم الصلاة ، وتحفيظهم بعض السور القصيرة ، وحثهم على الصلاة بعد بلوغ سن التمييز .

لقد ركزت التربية الإسلامية على غرس المبادئ الإسلامية الصحيحة للأطفال ، وعلى المبادئ التي وضعها لنا القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، ولاسيما مفاهيم التربية الإسلامية ، ومبادئها التالية :

أ- أصول التربية الإسلامية في القرآن والسنة :

يشمل القرآن الكريم والسنة النبوية أصول التربية الإسلامية ويتضح ذلك في المجالات التالية :

❖ الخلق الهادف:

كثيراً ما يتساءل الناس : لماذا خلقت في هذه الحياة؟

والجواب على ذلك : هو أن كل صانع يعرف سر صنعته ولماذا صنعها على نحو معين؟

والله سبحانه وتعالى هو صانع الإنسان وخالقه ومدبر أمره ، فهل خلقه لمجرد الطعام والشراب أم خلقه للهو واللعب ؟ أم لمجرد المشي على التراب ثم يموت ؟ والجواب على ذلك كله موجود في القرآن الكريم .

إن الله خلق الإنسان ليكون خليفة في الأرض قال تعالى في سورة البقرة :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من

يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠ البقرة)﴾ وخلق الله الكون ليكون ميداناً للنشاط الإنساني ، يستخدم فيه الإنسان طاقاته وإمكانياته ويسخره لمنفعته .

وأول شيء في هذه الخلافة أن يعرف الإنسان ربه حق معرفته ويعبده حق عبادته .

قال الله تعالى في سورة الذاريات ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴿٥٦﴾ ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون (٥٧) إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (٥٨)**﴾ .

وفي الحديث القدسي ، يقول سبحانه :«عبادي إني ما خلقتكم لأستأنس بكم من وحشة ، ولا لأستكثر بكم من قلة ، ولا لأستعين بكم من وحدة على أمر عجزت عنه ، ولا لجلب منفعة ولا لدفع مضرة ، وإنما خلقتكم لتعبدوني طويلا وتذكروني كثيراً وتسبحوني بكرة وأصيلا» .

❖ مكانة الأخلاق في الإسلام:

الدين والأخلاق حقيقتان لا تنفصلان في الإسلام ، فالأخلاق هي الأعمال الصالحة التي حق عليها الإسلام ، وهي علامة التقوى لأن صلاح الظاهر للفرد دليل على صلاح باطنه ، ومعيار الأخلاق هو الشرع ، فالحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع ، وقول عائشة عن الرسول ﷺ (كان خلقه القرآن) وقال تعالى **(وإنك لعلى خلق عظيم)**« القلم ٤» . وقال تعالى﴿ **وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً** ﴾ «الإسراء ١٦» ، ومن أجل ضمان قوة المجتمع وتماسكه فإن الأخلاق ليست مقصورة على نطاق المجتمع ومؤسساته وليست فقط على الأفراد . قال الشاعر :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

❖ **الفرد والمجتمع:**

إن من الخطوط المزدوجة في كيان الإنسان هذين الخطين المرتبطين المتناقضين :

أ- إحساس الإنسان بفرديته .

ب- إحساس بالميل إلى الاجتماع بالآخرين والحياة معهم كواحد منهم .

فكيان المجتمع كله قائم على التوفيق بين هذين الخطين المتناقضين في الظاهر . فالجماعة هي الأصل ، فالطفل يولد ضعيفاً لاحول له ولاقوة ولاكيان ، ولولا وجوده في الجماعة ما استطاع أن ينمو وأن يعيش ، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش منفرداً ، فالإنسان متوازن في فرديته ومتوازن في ميله إلى الجماعة وتعاونه معها ، وحينئذ يصبح المجتمع أشخاصاً لهم وجود واقعي ، ومتساندين في الوقت نفسه وفقاً لقوله تعالى **﴿صفاً كأنهم بنيان مرصوص﴾** «الصف ٤» ، وهذا ما يسعى إليه الإسلام . والحب هو الرباط الحي الذي يربط الجماعة كالبنيان المرصوص . والقرآن الكريم يغذي هذه الجماعة بتوجيهاته الدائمة إلى التعاون فقال تعالى **﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان﴾** «المائدة ٢» .

وهكذا تتحد الجماعة في الهدف وتتحد في العمل ، فتلتقى قلوبهم وتتعاون وترتبط كلها بالنهاية ، فلا يقوم بينها الشقاق والخصام .

❖ **الدنيا والآخرة:**

الدنيا متاع زائل فليس للإنسان أن يجعلها هدفاً وغاية له ، وينسى الهدف الذي خلق من أجله ، قال اللّه تعالى **﴿ أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون ﴾**« البقرة ٨٦» . وقال سبحانه تعالى **﴿ أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدني في الآخرةا إلا قليل﴾** «التوبة ٣٨» . وقال عليه السلام :« ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته ، وآخرته لدنياه ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وتلك» .

من أهم صفات الحياة الدنيا وعلاقة الإنسان بها هي :

١-متاع مؤقت وكأنه عبور ووسيلة الى الآخرة .

٢- الدنيا مملوءة بالشهوات والابتلاء والاختبار .

٣- يجوز الاستمتاع بالحياة الدنيا وزينتها في حدود الشرع .

٤- الدنيا عالم له قوانينه الاجتماعية والبشرية التي سنها الله .

٥- الحياة الدنيا قصيرة الأمد .

٦- الدنيا دار تعب وكدح وفقاً لقوله تعالى ﴿ **يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه**﴾ «الانشقاق ٦» .

٧- المؤمنون ينصرهم الله في الدنيا والآخرة قال تعالى ﴿**إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد**﴾ « غافر ٥١» .

٨- الحياة الدنيا دار لعب ولهو وتفاخر وتكاثر .

وقيل «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .

أما اليوم الآخر فهو حياة أبدية لا موت بعدها ليقدِّر الله أعمال العباد ويزنها بالقسطاس المستقيم ، ويوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، خالص من شوائب الشرك ، ويومئذ يتجلى العدل الإلهي حين يضع الله الموازين القسط .

أما النتائج التربوية للإيمان باليوم الآخر فيه :

تربية الشعور الحقيقي بالمسؤولية وإيثار الآخرة على الدنيا ، والصبر على الشدائد ، فنساء رسول الله ﷺ وهن من فضليات النساء في عصرهن ، اجتمعن ليطالبن رسول الله بأن يتمتعن بزينة الحياة الدنيا وغناها ، كما تتمتع نساء الملوك ، فنزل فيهن قوله تعالى﴿ **يا أيها النبي قل لازوجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا**

وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحاً جميلاً(٢٨) وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً(٢٩)﴾ الاحزاب .

فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة وبقين في كنف رسول الله يصبرن على شظف العيش ، قال تعالى﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا(١٦) والآخرة خير وأبقى (١٧)﴾** سورة الاعلى . وقال ﴿ **ابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض﴾** القصص آية ٧٧ .

❖ الجسد والنفس:

إن طاعة الله وعبادته والدعوة إليه تحتاج إلى جهد وطاقة جسدية «المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف» . وإن الافتخار وقتل النفس وإلحاق أي أذى بالجسم من الأمور المحرمة التي يعاقب عليه الشرع في الدنيا والآخرة ، وأيضاً كل من الصلاة والصيام والحج فيه تنشيط وتوجيه لبعض طاقات الجسم وأجهزته ، وأن تغذية الرضيع الطفل وإطعامه وكساءه من الأمور التي يكلف بها الأب أو نائب عنه أو الدولة إن فقد العائل .

كما حض الإسلام على الأمور التي تقوي الجسم ، كالرمي والفروسية والسباحة ، وقد سمح للأحباش بممارسة ألعابهم بالحراب في المسجد ، وكان عليه السلام يُطلّ من حجرته ويتفرج عليهم هو والسيدة عائشة .

وللتربية الإسلامية وسيلتان لتوجيه الطاقات الجسمية .

١-توجيهها نحو كل ما يرضي الله من إغاثة الملهوف وإعانة الكل والجهاد في سبيل الله .

٢- تحذيرها من كل ما يغضب الله وذلك بالتلويح بالعقوبة لكل بطش أو أذى أو أعتداء .

قال عليه السلام «إن لبدنك عليك حقاً» .

أما النفس : فإنها من ضروريات الشريعة الإسلامية ، فقدحرم الله قتل النفس بغير حق وأنزل أشد العقوبة بمرتكب ذلك . قال تعالى :﴿ **ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً**﴾ سورة الإسراء آية ٣٣ .

وقال ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها** ﴾سورة النساء آية ٩٣ ، وحرم الله الانتحار﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً**﴾ سورة النساء آية ٢٩ .

❖ العقل والوجدان:

لقد أشار القرآن الى العقل وقال ﴿ **إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب**﴾ سورة الزمر آية ٢١ ، لقد نهى الإسلام عن الخمر لما فيها من أضرار وأشار إلى ضررها العقلي ، قال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**﴾ سورة النساء اية ٤٣ .

وقد قال سبحانه منذراً الذين لا يفكرون ولايستعملون عقولهم في الخير والمعرفة ﴿**إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون**﴾ سورة الانفال آية ٢٢ . والإسلام دين فطرة يحترم الطاقات البشرية ، فهي هبة الله المنعم الوهاب ، ولكنه يعطيها أقدارها الصحيحة ولا يعطيها فوق قيمتها ، ويستغلها جميعاً إلى أقصى طاقاتها لفائدة المخلوق البشري ، وإصلاح حالة على الأرض .

لقد حرص الإسلام أن لا تتحول قدرات ومواهب الأفراد ، أو مواقعهم الاجتماعية إلى مراكز قوة يتجمعون فيها اعتماداً على مظهر من مظاهر التمييز ، ذلك أن الإسلام يعمل على توفير الفرص المتكافئة لجميع الأفراد كل حسب قدراته وخصائصه .

وركز الإسلام على تربية عقل الإنسان ووجدانه بأسلوب علمي ، وذلك باستخدام القوانين العلمية ، وقوى الكون لرفاهية الإنسان ، كاستخدام حرارة

الشمس ، والرياح والنجوم . وركز على التكافل الاجتماعي والتعاون ، والتراحم والعدالة الاجتماعية ، والامتناع عن البغي والعدوان والفساد والبهتان ، واعتبر المظهر الجماعي في الإسلام هو الدفاع ضد الظلم والعدوان لقوله تعالى **﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾** الاسراء آية ٣٣ ، وقال تعالى **﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون﴾** سورة آل عمران آية ١٠٤ .

ب- خصائص التربية الإسلامية:

لقد اتصفت التربية الإسلامية «بالشمول والتكامل والتوازن ، ديمقراطية وتكافؤ الفرص» . وفيما يلي فكرة عن كل منها :

❖ الشمول:

تتفق التربية الاسلامية مع شمول نظرة الإسلام الى «الانسان» وعندما يستعرض الإنسان وسائل الإسلام في التربية يعجب للدقة العجيبة التي يتناول بها الكائن البشري الدقة التي تتناول كل جزئية على حدة كأنها متفرغة لها ، ليس في حسابها سواها ، ثم الشمول الذي يتناول الجزئيات جميعاً وفي وقت واحد .

أنها دقة معجزة لا تصدر إلا عن الخالق المدبر العظيم .

قال تعالى **﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾** سورة الروم آية ٣٠ .

الإسلام دين الفطرة ، فما من نظام يعالج الفطرة كما يعالجها الإسلام . وما من نظام يعالج النفس البشرية بهذه الدقة وذلك الشمول ، وهناك بعض النظم التي آمنت بجانب واحد من الكيان البشري ، ونظم آمنت بالجانب المحسوس ونظم آمنت بالجانب الروحي في الإنسان .

❖ **التوازن:**

التوازن سمة من سمات الإنسان الصالح ، وهو معنى واسع شامل يشمل كل نشاط الإنسان . توازن بين طاقة الجسم وطاقة العمل وطاقة الروح . توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته ، وتوازن بين الحياة في الواقع والحياة في الخيال . وتوازن بين الإيمان بالواقع المحسوس والإيمان بالغيب ، وتوازن بين النزعة الفردية والنزعة الجماعية ﴿**وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس**﴾ (1) ، هذا التوازن هو سمة الكون كله التي تتوازن فيه كل الأفلاك ، وكل الطاقات وهو سمة الإنسان الصالح . والوصول إلى التوازن في حياة الإنسان المتعدد الطاقات ، والاتجاهات ليس أمراً هيناً في الحقيقة .

ومع ذلك فهو هدف يستحق كل ما يبذل فيه من جهد ، لأنه يحقق للإنسان في الأرض أقصى ما يستطيعه من سلام وسعادة ، وإنتاج في كل حقل من حقول الانتاج المادي والمعنوي على السواء .

وكل ما يصيب الإنسان من قلق أو اضطراب او شر في الحياة . . .إلخ هو نتيجة لفقدان التوازن في داخل النفس . . .لقد نجح الإسلام في بناء مجتمع متعاون يسوده التوازن ، في اقتصاده ، وتكافله الاجتماعي ، وتوازنه بين الفرد والمجتمع وهكذا حرص الإسلام على التوازن ، وجعله هدفاً أساسياً في منهاجه ، يبذل فيه كل ما في الطاقة من جهد ، يبدأ فيه مع الطفل من مولده ، ويسير فيه مع الانسان في جميع مراحل نموه ، ولا يتركه لحظة واحدة دون معاونة أو توجيه .

❖ **التكامل:**

لقد أكدت التربية الإسلامية على التكامل في الحياة ، بمعنى أنها لا تقتصر على مكان دون الآخر ، فهي تتم في المدرسة والمسجد والشارع والحقل وميدان القتال ، وكل انسان في هذه التربية معلم طالما كان لديه ما يعطيه ، فلا كبير على العلم في

(1) سورة البقرة ، آية ١٤٣ .

الإسلام على حد تعبير الرسول عليه الصلاة والسلام والمعلم الأعظم فقال : «يبقى العالم عالماً حتى إذا ظن أنه قد علم فقد جهل» . إن كيان الإنسان من جسم وروح أو جسم وعقل وروح متكامل .

إن الكيان النفسي للإنسان كيان متزن متكامل متحرك لايجمد على صورة واحدة ، والإسلام كلمة الله إلى الأرض قد سلم من هذه الخطيئة ونجا من ذلك الانحراف ، أنه في الوقت الذي يؤمن فيه بكل جوانب الإنسان جسمه . . . .الخ ومطالب كل جانب وطاقاته يؤمن كذلك بوحدة الكيان البشري . لا يفصل في داخل النفس بين الجسم والعقل والروح ، ولايفصل في واقع الحياة بين هذه الطاقات بل يأخذها بفطرتها السوية ممتزجة مترابطة .

❖ **الحرية والديمقراطية في التعليم:**

تأثرت طرق التربية والتعليم في التربية الإسلامية تأثراً كبيراً بمبدأ الحرية والديمقراطية ، فقد نادى الإسلام بمبدأ المساواة وتكافؤ الفرص في التعليم ووسائله أمام الطلبة جميعاً ، وفتحت أبواب المساجد والمعاهد الدراسية للجميع من غير تفرقة بين الغني والفقير ، والتعليم فيها بالمجان ، والطلاب غير مقيدين بسن محددة أو أشهر معدودة أوشهادات خاصة أو درجات معينة في الامتحانات ، فإن وجدت لدى المتعلم رغبة في الدراسة والمحبة للمعلم والشغف والبحث يسرت أمامه وسائل التعليم .

لم تكتف الأمبراطورية الإسلامية بإنشاء المساجد والمعاهد ودور العلم لنشر التعليم ، بل اغدقت عليها كثيراً من الأموال والخبرات ، ووقف عليها الموسرون من المسلمين كثيراً من العقارات والأوقاف والأموال ، كي يتمكن الطلاب الفقراء من متابعة الدراسة والتعمق في الثقافة ، وقد ظهر في الإسلام كثير من العظماء والعلماء من أبناء الفقراء نذكر منهم الغزالي ، الأمام الشافعي الجاحظ ، فقد وجدوا طلب العلم أمامهم ميسراً ، فانتهزوا الفرصة وجدوا وثابروا ودرسوا وتعمقوا في دراستهم .

لقد كان التعليم واجباً دينياً ، فقد فرضه الإسلام على كل مسلم ومسلمة ، لهذا تحمس الأغنياء في إقامة دور التعليم في المساجد والمعاهد ودور الكتب ، وتزويدها بما تحتاجه من المؤلفات والأدوات ومختلف الطرائق والضرورات تقرباً إلى الله تعالى .

فالجهود في نشر التعليم لم يكن على عاتق الدولة وحدها ، فقد كان الأغنياء والعلماء والقادة ينشؤون دور العلم .

والأمبراطورية الإسلامية لم تقيد التعليم بقيود مادية أو مؤهلات علمية ومصروفات مدرسية أو شروط استعمارية ، كي لا يضعوا عقبة في سبيل من يريد التعلم من البنين والبنات ، وفتحت أبواب التعليم على مصارعها لمن يرغب في الدراسة العلمية والدينية في كل وقت ، وكل دار من دور التعليم ، وهذه هي الديمقراطية الحقه في التربية والتعليم ، كان التعليم بالمجان والغذاء بالمجان والإقامة بالمجان في المراحل المختلفة من التعليم . ولم يطالب أبناء الفقراء من المسلمين بالاكتفاء بالتعليم الذي ندعوه الابتدائي أو الاعدادي أو الثانوي ، والرضا بمراكزهم المتواضعة في الحياة بسبب الفقر بل شجعوا على اللحاق بالمعاهد العليا ، وأعطى الجميع الفرصة في أن يتعلموا حتى النساء والجواري ، وكان المسلمون ينظرون إلى العلماء والأدباء نظرة إجلال وإكبار .

❖ تكافؤ الفرص في التعليم :

إن فرص التعليم كانت في الاسلام مكفولة للغني والفقير على حد سواء ، لقد بدأ التعليم الإسلامي في المسجد ، ولا نزاع في أن المسجد كان مفتوحاً للجميع ، وكانت حلقات معدة لاستقبال الطلاب لتعليمهم بالمجان دون قيد أو شرط .

وكان على المدرس ألا يكون في مجلسه مكان مميز لأحد الناس ، بل كان الجميع عنده سواء ، وليست المسألة مسألة جلوس فحسب ، وإنما كان على المعلم أن يعامل الفقير معاملة الغني ، ويدرك الجميع أنهم سواسية « الناس كاسنان المشط » ، لافرق بين غني وفقير الإبالتقوى ، بل الفضل للطالب الجد أياً كان عنصره . وكانت توجه

عناية خاصة للطلاب الموهوبين الذين تبدو عليهم مظاهر الذكاء والفطنة . ولم يكن المدرسون فقط هم الذين اتجهوا برعايتهم للطلاب الفقراء ، بل حظي هؤلاء بنصيب موفور من الأوقاف . وقد ظهر جمهرة ضخمة من العلماء والأفذاذ الذين ينتمون إلى طبقة الكادحين الفقراء من هؤلاء ، العالم المشهور العز بن عبد السلام ، وأبو تمام والجاحظ . ولما أنشئت المدارس في العالم الإسلامي كانت فرصة لتلقي العلم أوضح وأدق وأشمل للفقير . فقد أدرك منشئو المدارس أن كثيراً من النابهين في العلم والمعرفة ينبعون من أسر فقيرة ، وأن مظاهر الغنى والترف تشغل الطالب الغني في الغالب عن العلم والتفرغ له والتعمق فيه . ولا يشغل بال الطالب الفقير شيئاً ، لأن الفقر يحثه على أن يكمل العلم ليعوض ما قد فقده من الجاه والحسب . وعلى هذا استطاع الفقراء أن يشقوا طريقهم إلى الجد والعلى ، وأن يتزودوا بالمعرفة في مختلف الفنون دون صعوبة أو مشقة ، فنشأ في مصر مئات من العلماء ذوي الشهرة البعيدة ، والصيت الذائع الذين نبتوا في بيئة فقيرة ضيقة ، ومن هؤلاء رضوان الطبيب المصري الشهير النابغ في الطب والفلسفة والمنطق وصار رئيس الأطباء في مصر ، وكذلك الفقيه المشهور نجم الدين الخبوشاني المتوفي سنة ٥٨٧هـ .

والخلاصة أن الإسلام أهتم بتعليم الفرد والجماعة ، ولم يكن التعليم مقصوراً على سن أو فترة معينة ، وكانت نفقات التعليم تدفع من الخزانة العامة للدولة أحياناً ، ولكن الأوقاف كانت هي المورد الرئيس الذي كان ينفق منه على التعليم .

جـ- النزعة الانسانية للتربية الإسلامية:

تمتاز الحضارة الإنسانية بأنها إنسانية النزعة والهدف ، عالمية الهدف والأفق والرسالة ، غير محصورة في جنس ، أو زمان ، كدليل على إنسانيتها ، إنها ربت عباقرة مثل أبي حنيفة ، والشافعي والخليل بن أحمد ، وسيبوية و . . . .الذين قدموا أروع نتائج الفكر الإنساني .

إن إنسانية حضارتنا جعلت خليفة كعمر بن الخطاب يسعى ليل نهار على رعيته يمسح الآلام عن ضعيفها ، ويقضي للمحتاج حاجته ، فإذا به أمام بيت من الشعر

ينبعث منه أنين امرأة على وشك ولادة ، وزوجها يجلس إلى جانبها لا حول ولا قوة ، فيطير راجعاً إلى زوجته أم كلثوم ، فيدعوها إلى الخير لمساعدة المرأة في ولادتها ، ويأخذان معهما الطعام ، ويعودان بسرعة ، والناس نيام ، ويقوم عمر بطهي الطعام ، وزوجته تصبح قابلة ،وماهي إلا دقائق حتى تقول ام كلثوم «بشر يا أمير المؤمنين الرجل بغلام» . . .ويعود عمر إلى بيته ويأمر للرجل بما يحتاج .

لقد التقت في التربية الإسلامية الربانية والإنسانية والتقت فيها الروحية والمادية ، والتقى فيها الدين والدولة ، والعلم والإيمان ، لذا جدير أن يلتقي فيها الرقي الحضاري والنزعة الإنسانية جنباً إلى جنب ، وأن تقوم في المجتمع حضارة رفيعة تؤمن بالأخلاق والقيم العليا .

لقد أعلن القرآن وحدة النوع الإنساني في قوله تعالى﴿ **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن إكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ الحجرات آية ١٣ . إن القرآن حين أعلن هذه الوحدة الإنسانية العالمية على صعيد الحق والخير والكرامة ، جعل حضارته عقداً تنتظم فيه جميع العبقريات ، للشعوب والأمم التي خفقت فوقها الفتوحات الإسلامية .

الوحدة الثانية

مكانة الطفولة في الاسلام
كما صــورهــا القــرآن الكريــم

أ- الأطفال هبة من اللّه .

ب- تكوين الأســرة في الاســلام : الزواج من منظور إســلامي ، والمجـاب الأطفال .

جـ- الخلق وتكوين الجنين في القرآن الكريم .

د- الرضاعة في الأسرة المسلمة : مدتها وكيفيتها وأوقاتها .

هـ- الشروط التي ينبغي توافرها في الأم المرضع في الاسلام .

و- فطام الطفل في الاسلام : كيفيته وشروطه .

مكانة الطفولة في الإسلام

اعتنى الإسلام بالطفولة ، وركز على تربيتهم بطريق سليمة ، وقد ألقى الإسلام الأضواء على الطفولة في المجالات المختلفة منها :

أ-الأطفال هبة من الله :

إن الإنسان بطبيعته يحب الولد ، ويحب أن يولد له ، لأنه يعتبر الولد امتداداً له واستمراراً لحياته ، وحب الحياة غريزة في الإنسان ، بل هي من أقوى الغرائز ، ولكن أنى للإنسان الخلود والموت له بالمرصاد ، فكان الولد هو الذي ينفس عن هذا الحب للخلود ، واستمرار حياته ، فحب الولد رغبة فطرية وغريزة في النفس الإنسانية ؛ وقد بين الله تعالى ذلك في قوله **﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾** سورة آل عمران آية ١٤ ، يقول ابن المنير يُزيّن الشهوات ، يطلق ،ويراد به خلق ، حبها في القلوب ، وهو بهذا المعنى مضاف إلى قول الله تعالى حقيقة ، ولهذا جاء التعبير القرآني بصيغة المبني للمجهول ، ليدل أن حُب هذه الأمور مركوز في النفس الإنسانية .

لقد تحركت هذه الرغبة الفطرية في نفس نبي الله زكريا عليه السلام وهو الشيخ الكبير والعابد الزاهد ، أن يدعو قائلاً **﴿ رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء﴾** سورة آل عمران آية٣٨ ، ويعلق الإمام القرطبي على هذه الآية بقوله «ودلت هذه الآية على طلب الولد وهي سنة المرسلين والصديقين» ، فإذا كان الأنبياء يطلبون الولد ويجأرون بالدعاء إلى الله أن يرزقهم الذرية الطيبة فإن الإنسان العادي الذي لم تُهذبه النبوة وتهذب غرائزه ربما يحب الولد أكثر ، ذلك أن حب الولد غريزة في النفس البشرية لا يختلف فيها الأنبياء عن غيرهم ، لأن الولد كما وصفه الله تعالى «زينة الحياة» قال تعالى **﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾** سورةالكهف آية٤٦ ، بالاضافة إلى ذلك فإن الأولاد مصدر الاستقرار النفسي وهدوئها وطمأنينتها ، ولهذا كان دعاء المؤمنين **﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ﴾**سورة الفرقان آية ٧٤ .

وفي الخبر أن النبي ﷺ قال للأشعث بن قيس ، هل لك من ابنة حمزة ولد؟ قال : نعم ، لي منها غلام لوددت أن لي حفنة من طعام أطعمه ومن بقي من بني جيله ، فقال النبي ﷺ «لأن قلتَ ذلك أنهم لثمرة القلوب وقرة الأعين وأنهم مع ذلك عجنة محزنة ، ولهذا كانت الذرية نعمة من نعم الله على الإنسان ، إذ أن الله منّ بها على نفس الإنسان للإنسان . عن غريزته بحب البقاء واستمرار حياته ، ولهذا جاء التعبير القرآني بلفظ الهبة أي عطاء بدون مقابل ، قال تعالى ﴿ **لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاءعقيماً إنه عليم قدير** (٤٩، ٥٠) ﴾ سورة الشورى ، يقول سيد قطب «والذرية مظهر من مظاهر المنح والمنع والعطاء والحرمان وهي قريبة من نفس الإنسان ، والنفس شديدة الحساسية بها ، فلمسها من هذا الجانب أقوى وأعمق . ولهذا كانت النعمة من الله على عبادة تستوجب من العبد الشكر عليها ، وقد بين ذلك الله تعالى في قوله ﴿**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون** ﴾ النحل : ٧٢ .

يوجد في المجتمع الإسلامي آباء ينظرون الى البنت نظرة تميزها عن الولد ، فالسبب يعود الى أن البيئة الفاسدة التي رضعوا منها ما أنزل الله بها من سلطان ، يتصل عهدها بالعصر الجاهلي ، قال تعالى﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم (٥٨) يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الا ساء ما يحكمون(٥٩)**﴾ سورة النحل .

والسبب أيضاً يعود إلى ضعف الإيمان وزعزعة اليقين ، لكونهم لم يرضوا بما قسمه الله لهم من إناث ، لم يملكوا هم ولا نساؤهم ولا من في الأرض جميعاً أن يغيروا من خلق الله شيئاً ، ألم يسمعوا إلى ما يقوله الله تعالى في تدبيره المبرم ، وأوامره النافذة ومشيئته المطلقة ، وأمره الغالب في شأن الإناث وشأن الذكور قال تعالى ﴿لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء

الذكور (٤٩) أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً إنه عليم قدير (٥٠)﴾ الشورى ، ومن طرائف ما يروى ان أميراً من العرب يكنى بأبي حمزة تزوج امرأة وطمع أن تلد له غلاماً فولدت له بنتاً ، فهجر منزلها ، وصار يأوى إلى بيت غير بيتها ، فمر بخبائها بعد عام ، وإذا هي تداعب ابنتها بأبيات من الشعر تقول :

ما لأبي حمزة لا يأتينا

يظل في البيت الذي يلينا

غضبان ألا نلد البنينا

تاله ماذلك في أيدينا

وإنما نأخذ ما أعطينا

فدخل عليها زوجها بعد أن أعطته درساً في الإيمان والرضى ، وثبات اليقين ، ورضي بما قسمه الله عليه .

❖ الزواج المثالي وارتباطه بالتربية:

قبل أن أشرع في بيان الأسس التي وضعها الأسلام في تربية الأولاد يحسن ان أتعرض ولو باختصار للزواج من نواح ثلاث :

أ- الزواج فطره انسانية .

ب- الزواج مصلحه اجتماعية .

جـ- الزواج انتقاء واختيار .

لأن التعرض لمثل هذا النواحي توضح وجه ارتباط التربية بتحمل المسؤولية وإنجاب الذرية ، والاعتراف بنسب الولد وسلامة جسمه وأخلاقه وتأجيج عاطفه أبويه نحوه ، وتعاون الزوجين على تربيته وتقويم اعوجاجه ، وإعداده إنساناً

صالحا للحياة ، وإليكم بعض التفاصيل في كل ناحية من هذه النواحي الثلاث .

** الزواج فطرة انسانية : من الأمور البديهية في مبادئ الشريعة الإسلامية أن الرهبانية تتصادم مع فطرة الإنسان وتتعارض مع ميوله وأشواقه وغرائزه ، وقد روى البيهقي في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه :

«إن الله أبدلنا بالرهبانية الحنيفية السمحة » .

كما روى الطبراني والبيهقي عن رسول الله عليه السلام أنه قال :

«من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس مني»

فأنت ترى من هذه الأحاديث وغيرها ، أن شريعة الإسلام تحرم على المسلم أن يمتنع عن الزواج ويزهد فيه بنيه الرهبانية ، والتفرغ للعبادة والتقرب إلى الله ، ولاسيما أن يكون المسلم قادراً عليه ميتسراً له أسبابه ووسائله .

**الزواج مصلحه أجتماعية : من المعلوم أن الزواج في الإسلام له فوائد عامة ومصالح اجتماعية سنتعرض لها بتوفيق الله ثم نبين وجه الارتباط بالتربية :

١-المحافظة على النوع الإنساني : فبالزواج يستمر بقاء النسل الانساني ، ويتكاثر ويتناسل لمحافظة على النوع الإنساني ، ومن حافز لدى المختصين لوضع المناهج التربوية والقواعد الصحيحة لأجل سلامة هذا النوع من الناحية الخلقية والناحية الجسيمة على السواء ، وقد نوه القرآن الكريم عن هذه الحكمة الاجتماعية والمصلحة الإنسانية حين قال :

«والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة» سورة النحل آية٧٢ .

وقولـه :

«يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحده ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء» سورة النساء آية ١ .

٢- المحافظة على الانساب : بالزواج الذي شرعه الله لعباده ، اذ يفتخر الابناء بانتسابهم الى آبائهم ، ولا يخفى ما في هذا الانتساب من اعتبارهم الذاتي واستقرارهم النفسي ، وكرامتهم ولو لم يكن ذلك الزواج الذي شرعه الله لأصبح المجتمع بأولاد لأكرامة لهم ولا انساب ، وفي ذلك طعنه نجلاء للأخلاق الفاضلة ، وانتشار مريع للفساد والاباحية .

٣- سلامه المجتمع من الانحلال الخلقي : وبالزواج يسلم المجتمع من الانحلال الخلقي ، ويأمن الأفراد من التفسخ الاجتماعي . . .لا يخفي على كل ذي إدراك وفهم أن غريزة الميل إلى الجنس الآخر حين تشبع بالزواج المشروع ، وبالاتصلال الحلال تتحلى الأمة أفراداً وجماعات بأفضل الآداب وأحسن الأخلاق وتكون جديرة بأداء الرسالة .

حيث قال عليه السلام :« يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فأنه اغض للبصر وأحصن للفرج ، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فأنه له وجاء» .

٤-سلامة المجتمع من الأمراض : وبالزواج يسلم المجتمع من الأمراض السارية الفتاكة التي تنتشر بين أبناء المجتمع نتيجة الزنى ، وشيوع الفاحشة والاتصلال الحرام ومن هذه الامراض مرض الزهري ، داء السيلان ، ومرض الايدز ، وغيرها من الأمراض التي تقضي على النسل .

٥-السكن الروحاني والنفساني : وبالزواج تنمو روح المودة والرحمة والآلفة ما بين الزوجين ، فالزوج حين يفرغ أخر النهار من عمله ، ويركن عند المساء الى بيته ، ويجتمع بأهله وأولاده ، ينسى الهموم التى اعترته في نهاره ، ويتلاشى التعب

الذي كابده في سعيه وجهاده ، وكذلك المرأة حين تجتمع مع زوجها وتستقبل عند المساء رفيق حياتها .

حيث قال تعالى« **ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » سورة الروم آية ٢١ .

٦-تعاون الزوجين في بناء وتربية الاولاد : بالزواج يتعاون الزوجان على بناء الأسرة ، وتحمل المسؤولية فكل منهما يكمل عمل الآخر ،فالمرأة تعمل ضمن اختصاصها وما يتفق مع طبيعتها وانوثتها وذلك في الاشراف على إدارة البيت ، والقيام بتربية الأولاد . وصدق من قال :

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراف

٧- تأجج عاطفة الأبوة والأمومة : بالزواج تتأجج في نفس الأبوين العواطف وتفيض من قلبيهما ينابيع الأحاسيس والمشاعر النبيله . . . .ولا يخفي ما في هذه الأحاسيس والعواطف من أثر كريم ، وتتائج طيبه في رعاية الأبناء ، والسهر على مصالحهم ، والنهوض بهم نحو حياه مستقرة هانئة ، ومستقبل فاضل سام وصدق رسول الله عليه السلام :« ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة أن أمرها أطاعته ، وأن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وأن غاب عنها حفظته في نفسها وماله» .

ب-تكوين الأسرة في الإسلام . الزواج من المنظور الإسلامي:

إن اختيار الرجل لزوجته أخطر قرار يصدره على نفسه ، فهو يستطيع أن يستبدل أي شيء في حياته إلا الزوجة ، فإن قرار استبدالها أبغض الحلال إلى الله ، لذلك ، أوصى النبي بتزويج من نرضى دينه وخلقه ، ولهذا يجب قبل الإقبال على الزواج أن تتوفر في المرأة المواصفات التالية وهي :

١-أن تكون ذات دين : فهو الأصل وبه ينبغي أن يقع الاختيار ، فإنها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها ، أزرت بزوجها فلا يصبر ولا يصبر

عليها ، ويكون كالذي جاء إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله ، إن لي امرأة لا ترد يد لامس قال : طلقها ، فقال : إني أحبها ، قال : أمسكها . وإن كانت فاسدة الدين باستهلاك ماله لم يزل العيش مشوشاً معه ، فإن سكت ولم ينكره كان شريكاً في المعصية مخالفاً لقول الله تعالى﴿ قوا أنفسكم وأهليكم ناراً . . .﴾ قال رسول الله عليه السلام «لا تنكح المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ، ولا لمالها فلعل مالها يطغيها ولكن المرأة تنكح لدينها » .

٢-أن تكون على خلق حسن : إن كانت المرأة سليطة بذيئة اللسان سيئة الخلق كافرة للنعم كان الضرر منها أكثر من النفع ، والصبر على لسان النساء مما يمتحن به الأولياء ، فقال بعض الأعراب :لا تنكحوا من النساء ستة لا أنانة ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا قداحة ولا براقة ولاشداقة .

الانانة :كثيرة الشكوى والانين .

المنانة : التي تمن على زوجها فتقول له فعلت كذا وكذا من أجلك .

الحنانة : التي تحن إلى زوج آخر أو ولدها من زوج آخر وهذا ما يجب اجتنابه .

الحداقة : التي تشتهي الشيء وتكلف الزوج بشرائه .

البراقة : إما أن تكون طوال النهار في تصقيل وجهها وتزيينه ، وإما أن تغضب عند الطعام .

الشداقة : كثيرة الكلام والحديث .

٣-أن تكون حسنة الوجه : قال الرسول ﷺ «خير نسائكم إذا نظر اليها زوجها سرته وإذا أمرها طاعته وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله» . قال عليه السلام« إذا أوقع الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر إليها فأنه أحرى أن يؤدم بينهما » أن يؤلف بينهما .

٤- أن تكون بكراً : قال الرسول لجابر بعد أن نكح ثيباً : «هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك» والواقع أن للأبكار ثلاث فوائد :

أ- أن تحب الزوج وتألفه فيؤثر في معنى الود . قال الرسول ﷺ «عليكم بالودود» .

ب-أنها تحن للزوج الأول ، وأحسن حب يقع مع الحبيب الأول غالباً .

جـ- أن ذلك أكمل في مودة الزوج لها ، إذ أن طبعه ينفر من التي مسها غير الزوج نفسه ، فالرجل يغار على زوجته اذا حدثته عن ماضيها .

٥-أن تكون المرأة ولوداً : قال الرسول ﷺ «عليكم بالولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» .قال الرسول ﷺ «سوداء ولود خير من حسناء لا تلد» .

٦-أن تكون خفيفة المهر : قال الرسول ﷺ «خير النساء أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً . . .» وقد نهى الرسول في المغالاة في المهر حيث تزوج هو بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت ، وكان يقبل جرة ووسادة من أدم حشوها ليف أو بمدين من شعير .

٧-أن لا تكون من القرابة القريبة : قال الرسول ﷺ «لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق حناوياً » أي ضعيفاً . قال عليه الصلاة والسلام «غربوا النكاح» .

٨- أن تكون نسيبة : أن تكون من أهل الدين والأصلاح فإنها ستربى بناتها وبنيها ، فإن لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية .

قال عليه الصلاة والسلام «إياكم وخضراء الدمن» قالوا وما معنى خضراء الدمن يارسول الله ﷺ ، قال : «المرأة الحسناء في المنبت السوء» .

وقال «تنكح المرأة لمالها ، وجمالها ، ونسبها ، ودينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك» .

تتكون الأسرة من الزوج والزوجة والأبناء ، وقد شرع الله الزواج لما فيه خير يصيب الأفراد والجماعة ، فبالزواج تتكون الاسرة وتتكاثر الأمة ، وتزداد قوتها ، وحيويتها ،قال ﷺ «تزوجوا الولود الودود ، فإني مفاخر بكم الأمم يوم القيامة» .

والزواج يوفر الرحمة والمودة والألفة بين الزوجين ، ويكمل كل منهما إلى الآخر ،

ويطمئن اليه ، ويعزز صلة الإنسان بربه ، فيقوي طاعته لله ، ويحميه من الوقوع في الحرام ،ويخفف عنه العبء ، قال ﷺ «يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه اغض للبصر ، واحفظ للفرج» .

حث الرسول على الزواج ، ونهى عن الرهبنة ، لذا أنكر على بعض الصحابة الانقطاع للعبادة ، معتزلين النساء ، صائمين النهار ، قائمين الليل فقال لهم «أما أنا فأصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني» .

قال تعالى «**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** » الروم آية ٢١ .

لقد اعتبر الإسلام الزوجين مسؤولين عن بناء أسرة متآلفة ، وجعل الرجل مسؤولا عنها ، لقوله تعالى ﴿**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**﴾ سورة النساء آية ٣٤ ، وحدد الإسلام حقوق وواجبات الزوجين ، فأوجب أن ينفق الزوج على زوجته ، ويوفر الطعام والملبس والمسكن ، وأن يحسن معاملتها ، ويساعدها في أعمالها ، ويجب على المرأة إطاعة زوجها ، والمحافظة على ماله ، وعرضه وبيته .

وأوجب الإسلام أن يتعاون الزوجان لتربية الأطفال تربية سليمة وفق الشريعة الإسلامية .

وقرر الإسلام للمرأة حقوقها على زوجها ، كالصداق والنفقة ، والمعاشرة بالمعروف ، كما سمح الإسلام بتعدد الزوجات على أن لا يزدن على اربع إذا كان عادلاً ،لقوله تعالى﴿ **فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة** ﴾ سورة النساء آية٣ ، ، وحذر الإسلام أن يميل الإنسان عن زوجته كل الميل ، بحيث يتركها كالمعلقة ،كما لم يشجع الإسلام الطلاق ، قال ﷺ «تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز له عرش الرحمن » وقال ﷺ «أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة» .

لم يشجع الإسلام الطلاق لانعكاسه على الأطفال ، الذين يحرمون من حياة مستقرة سعيدة ، لذلك حدد الإسلام الأمور التي يمكن بها الطلاق .

والزواج مصلحة اجتماعية هدفها المحافظة على النوع الإنساني ، والمحافظة على الأنساب ، وعلى المجتمع من الانحلال الخلقي ، وتعاون بين الزوجين في بناء الاسرة .

❖ **إنجاب الأطفال:**

حث الإسلام على كثرة التناسل والإنجاب ، فقد قال الرسول ﷺ «تناكحوا ، تناسلوا» كانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن خلق الأشخاص ابتداء من غير حراثة وزواج ، ولكن الحكمة اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب مع الاستعانة عنها إظهاراً للقدرة وإتماماً لعجائب الطبيعة في التوصل إلى الولد قرب من أربع اوجه ، هي الأصل في الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى لا يحب أحدهم ان يلقى الله عزباً :

١-موافقة محبة الله بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الانسان ، وهي أدق الوجوه ، وهي من عجائب صنع الله تعالى ومجازي حكمه ، فإن الله سبحانه وتعالى خلق الزوجين ، وخلق الذكر والأنثى وخلق النطفة ، فالناكح ساع في اتمام ما احب الله تعالى إتمامه ، والمعرض معطل ، ومضيع لما كره الله صنعه ولأجل محبة الله تعالى لبقاء النفوس أمر الإطعام ، وحث عليه وعبر عنه بعبارة الفرض ، فقال سبحانه وتعالى في الآية التالية ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ سورة البقرة آية٢٤٥ ، فإن بقاء النسل والنفس محبوبة وأن فناءه مكروه عند الله .

٢-طلب محبة رسول الله في تكثير من به مباهاته ، وقد صرح الرسول بذلك ويدل على مراعاة طلب الولد : روي عن عمر بن الخطاب أنه كان ينكح كثيراً ويقول ، (إنما أنكح للولد) وقال الرسول عليه السلام «سوداء ولود خير من حسناء لا تلد» . . .

٣-طلب التبرك بدعاء الولد الصالح لوالده إذا بقي له ولد صالح يدعو له ، قال الرسول ﷺ «يموت ابن ادم وينقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، وعلم نافع ، وولد صالح يدعو له » .

٤-إن موت الولد قبل والده يكون له شفيعاً يوم القيامة قال الرسول ﷺ «إن الطفل يجر بأبويه إلى الجنة» وقال ايضاً «إن المولود يقال له أدخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئاً - أي ممتلئ غيظاً وغضباً - ويقول لا أدخل الجنة إلا وأبواي معي ، فيقال أدخلوا أبويه معه الى الجنة» قال الرسول ﷺ أيضا« من مات وله اثنان من الولد فقد احتظر بخطا من النار» ، سئلت فاطمة من هي افضل النساء؟ قالت : المرأة الولود الودود .

الزوج المحمود:

أما الزوج المثالى في نظر الإسلام فهو الذي تجتمع فيه صفات الإنسانية الفاضلة ، وأخلاق الرجولة المكتملة ، فينظر الى الحياة نظرة صادقة ويسلك فيها السبيل القويم .

فاذا جاء احدكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه حرصاً على الحفاظ على حقوق المرأة ، إذ ان الرجل الخاطب الحريص على دينه قادر على بناء اسرة سليمة وفقاً لقوله عليه الصلاة والسلام خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ، الى جانب ما يريد في زوجته من أوصاف .

واعتبار الدين والحرص عليه ، يعنى رغبة الإسلام في استقرار الأسرة ورخاء ريحها .

فإن زوجة لا دين لها وبال على زوجها وذريتها ، ومثلها لا تغنى في ملمة ، ولا تثبت في نازلة ، ولاتسعد في حياة .

أن جمالها وفتنتها ومالها وحسبها ، لن يقر عينها أو يقر عين أسرتها بها . بل ربما انقلبت مزاياها هذه الى اخطار مدمرة ، وريح عاصفة .

أما ايمانها وتقواها فأنه يجعلها ثمرة مباركة ورحمة سابغة ومتاعا نافعا وزادا معينا .

وفي هذا يقول الرسول ﷺ :

«ان الدنيا كلها متاع ، وخيرمتاعها المرأة الصالحة» [1] .

وهذه المرأة الصالحة لايفرض فيها أن تكون خالية من كل حيلة سوى الصلاح ،ولكن صلاحها هو الذي يمكنها من اسعاد اسرتها وبسط جناح الحب والرحمةعليها .

وقد اشاد الرسول ﷺ ببعض المزايا في نساء قريش الصالحات ، ونوه بما فيهن من خير ، وما يحققنه لأسرهن من اسعاد ، قال : «خير نساء ركبن الأبل صالح نساء قريش ، احناه على ولد في صغره ، وارعاه على زوج في ذات يده» [2] .

ونستطيع ان نرى صورة للزوجة المثالية في نظر الإسلام ، من خلال اجابة النبي ﷺ لمن سأله : أي النساء خير؟

قال : «التي تسره إذا نظر ، وتطيعه اذا امر ، ولا تخالفه في نفسها ولاماله بما يكره »[3] .

فهنا مجموع صفات :

بعضها يتصل بجانب الجسد وجماله .

وبعضها يدل على شرف النفس وطهارة السريرة ونضج الخلق .

مما يدل على تكامل نظرة الاسلام الى الزوجة الصالحة وشمولها لكل الآفاق .

فالذي ينبغي هو اتساع النظرة وتوازنها .

---

(١) النسائي ومسلم .
(٢) الشيخان .
(٣) اصحاب السنن

أما إذا تفرقت الصفات في النساء وبعثرت فيهن المزايا ، فالحرص على سلامة الدين واجب ، وأن لم يكن معه شيء من الصفات الأخرى .

قال رسول الله ﷺ :

«لا تزوجوا النساء لحسنهن ، فعسى حسنهن ان يرديهن .

ولا تزوجوهن لأموالهن ، فعسى اموالهن ان تطغيهن .

ولكن تزوجوهن على الدين .

ولأمة خرماء سوداء ذات دين افضل » (١) .

فحين لايجد الرجل من تجمع الى جمال الجسد صدق الإيمان ، بل يجد ذات دين ليست بوضيئة ، أويجد جميلة ليست بذات دين فعليه أن يرجح كفة الدين على سواها ، وعندئذ يفوز بالحسنى وينجو من البوار .

أما حين يميل مع الهوى ، وينظر في الاختيار بغير هذا المنظار ، فليس ببعيد أن تنتابه النوائب ، ولا آمن أن تحتاجه الأعاصير .

جـ- الخلق وتكوين الجنين في القرآن :

أشار القرآن الكريم إلى أن حقيقة الإنسان تعود إلى اصلين لقوله تعالى﴿**الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين (٧) ، ثم جعله نسله من سلالة من ماء مهين(٨)**﴾ سورة السجدة .

أ- الأصل الأول : هو الخلقه الأولى من طين حين سواه الله ونفخ فيه من روحه ، أي أن الله خلق الانسان من تراب ، لقوله تعالى﴿**وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون (٢٨) فإذا سويته ، ونفخت فيه من روحي ،فقعوا له ساجدين (٢٩) . . .**﴾ سورة اية ، وقال الله تعالى ﴿**أكفرت بالذي خلقكم من تراب**﴾ سورة الكهف آية ٣٧ .

---

(١) ابن ماجة

ب-الأصل الثاني : وهو الخلقه الثانية ، التي أوجدت نسل آدم ، لقوله تعالى ﴿ ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (٨) ثم سواه ، ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والأبصار والافئدة قليلاً ما تشكرون (٩)﴾ السجدة .

ومن هنا خلق الإنسان من عقل وروح ، وجعل حياته اختباراً وابتلاء ،﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطفة امشاج نبتليه ، فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ سورة الانسان آية٢ .

تكوين الجنين [١] :

تبدأ حياة الجنين من لحظة التزاوج بين الحيوان المنوي القادم من الذكر ، وبين البويضة المنشطرة من الأنثى ، والحيوان المنوي يعيش داخل اعضاء الأنثى بعد قذفه من ٢٤-٧٢ ساعة ، فإذا لم يجد ضالته خلال هذه الفترة يموت لأنه نصف خلية ، وليس خلية كاملة ، وكذلك البويضة لا تعيش اكثر من ٢٤ ساعة بعد انشطارها من مبيض الأم ، إذا لم يصلها نصف المذكر «وحلقناكم أزواجاً» .

وعندما يحدث التزاوج أو الاندماج تنتج أول خلية كاملة «علقة» تسمى الجنين ، وتحمل الصفات الوراثية القادمة من الأب والأم ، ومحددة الجنس ذكراً أو أنثى ، وهي خلية حية تتغذى وتتنفس وتتكاثر وتخرج فضلات ، وأيضا تموت إذا لم يقدر لها الحياة وتتلاشى دون أن يشعر بها أحد لدقتها .

يحدث التكوين الأول للجنين في القناة المبيضية للأنثى ثم تنتقل إلى الرحم ليعيش هناك تسعة أشهر ، وتستغرق هذه الرجعة حوالي ٧٢ ساعة ، وهو في مرحلة ٦٤ خلية ، لقوله «نطفة امشاج» ، وبعد انزراع الجنين في الرحم وتكاثر عدد الخلايا التي لا تتوقف عن الانقسام والنمو ، تبدأ عملية تصنيف الخلايا إلى ثلاث صفات :

---

(١) د . عبد الله عبادة ، في القرآن ، ص ٥٩-٦١ .

أ- الطبقة الخارجية : تتحور الى خلايا الجلد والأعصاب .

ب- الطبقة المتوسطة : تعطي خلايا العضلات وخلايا الدم .

جـ- الطبقة الداخلية : تعطي الجهاز الهضمي والأمعاء والغدد .

وأول ما يظهر من الأجهزة الجهاز العظمي ثم يتلوه الجهاز العضلي قال تعالى **﴿فكسونا العظام لحماً﴾** وبهذا تتحور أجهزة الجنين عندما يصل عمره ١٨ يوماً ، وتصبح حياته داخل الرحم في حياة نمو ونضج وزيادة وزن و . . . .وهكذا ، ويحيط بالجنين كيس مائي يحميه من الصدمات المباشرة التي يتعرض إليها الرحم في حياته اليومية ، وتتجمع فضلات الجنين في كيس ، وبذا يصبح هناك فاصل بين الجنين وبين الجو الخارجي يشمل ثلاث طبقات هي جدار كيس الجنين ثم جدار الرحم ، ثم جدار بطن الأم ، وهذا تفسير قوله تعالى **﴿خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾** .

لقد أكد القرآن الكريم تسلسل تكوين الجنين هذا بقوله **﴿فلينظر الإنسان مم خلق ، خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب﴾** ويتابع القرآن الكريم توضيح خلق الجنين **﴿خلقناكم أطواراً﴾** ، **﴿فخلقنا النطفة علقة﴾** أي التحام الحيوان المنوي مع البويضة **﴿فخلقنا العلقة مضغة﴾** وهي ظهور الطبقات الثلاث للجنين **﴿وكسونا العظام لحماً﴾** وهي بداية التحور وظهور العضلات والنسيج اللحمي ،**﴿ ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾** **﴿فنفخنا منها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ الانبياء ٩١** ، وصار انساناً وكان جماداً ، وناطقاً وكان أبكماً ، وسميعاً وكان أصماً ، وبصيراً وكان كفيفاً ، وأودع كل عضو من أعضائه عجائب فطره وأوصاف لا يحيط بها وصف الواصفين **﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾** .

وقال سبحانه **﴿من ماء مهين﴾** ليس امتهاناً ولكن معناه أن هذا الماء المهين يستحقره البعض ، ولا يعرفون سر عظمة الخالق فيه ، ولا يعلمون ان السنتمتر

المكعب يحتوي على ستين مليونا من الحيوانات المنوية المتحركة ،كل منها نصف خلية ، أما قوله ﴿من ظهورهم﴾ فقد ثبت بالتشريح ان الخصية وهي غدة الذكر التي تجهز الحيوانات المنوية ، يأتي اليها شريان التغذية من مستوى يعادل الفقرات الظهرية ، وبالتحديد الفقرة الثانية القطنية ، وقضت حكمه الله أن تكون الخصية في درجة حرارة أقل من حرارة الجسم بدرجتين تقريباً حتى لا يصيب الحيوان المنوي أي تشوه .

د- الرضاعة في الأسرة المسلمة:

قرر الإسلام حق المولود في الرضاعة ، فقال تعالى **﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾** البقرة آية ٢٣٣ ، **﴿وفصالة في عامين﴾** سورة لقمان آية ١٤ .

طمأن الإسلام الأم الى حق وليدها في الرضاعة وأوجب على الأب النفقة على الرضيع والمرضع حتى لو قدر بينهما الفراق . قال تعالى **﴿اسكنوهن من حيث سكنتم . من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ، وإن كن أولات حمل ، فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ، وأتمروا بينكم بمعروف﴾** سورة الطلاق آية٦ .

أكد الإسلام أن حليب الأم لن يصل إليه مرتبة حليب آخر ، ذلك أن حليب الأم من صنع الله **﴿الذي احسن كل شيء خلقه﴾ السجدة ٣٢ .**

حق ارضاع الوالدة لولدها :

وهو على سبيل الندب ، لا الوجوب يفهم ذلك من قوله تعالى **﴿ وإن تعاسرتم فسترضع لن أخرى﴾ الطلاق ٦ .**

فدل على أنه ليس على سبيل الإلزام ، وبهذا قال الفقهاء ، إلا اذا رفض الرضيع جميع الأثداء عدا ثدي أمه ، عند ذلك يكون الإرضاع من الوالده على سبيل الوجوب ، لضمان عدم الحاق الضرر به : ولقد ذكر القرآن الكريم احكام

الرضاع ، وحكم التشريع في الرضع والوالدة المرضعة والمولود له «في سورة البقرة آية ٢٣٢ وآية الطلاق ٦ » .

والأحكام الواردة في الآيتين تتلخص فيما يلي :

١- الإهتمام بالزوج الحامل بالنفقه الواجبة لمثلها بحسب السعه .

٢-وإذا أرضعت الوالدة المولود -بعد ميلاده ، يكون لها أجر إرضاع الطفل ، لأن المولود ينسب للأب لا لها ، ويكفيها ما تحملته من آلام من الحمل والوضع .

٣- إذا حدث ظرف طارئ -للزوجين أو لاحدهما - وانتهى بالفرقه ، فلا يضيع الطفل بينهما ، وإنما يجب عليهما أن يتشاوروا فيما بينهما لمصلحته على ان ترضع له أخرى ، لقوله تعالى ﴿**وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى**﴾ دليل على قبول الشرع أن يرضع المولود من غير يدي امه التي ولدته . أما إذا رفض المولود جميع الاثداء ما عدا ثدي امه ، تكون مكلفه تكليفاً دينياً واجباً بإرضاعه وهذا يفسر قوله تعالى ﴿**والوالدات يرضعن اولادهن**﴾ .

٤- لبن الأم يقدم على سائر الالبان ، لأنه أعد اعداداً ربانياً ، وجهز له الثدي بما يناسبه ويتلاءم مع جهازه الهضمي الذي يتعامل به لأول مرة من الغذاء خارج الرحم .

فوائد الرضاعة للوليد [1] :

الفائدة في إرضاع المولود من والدته ، لاتعود اليه وحده وإنما تشاركه الوالدة ، فالفائدة تبادليه ، فكل من المولود والوالده يحس بعاطفة الآخر نحوه ،ولهذا فإن تغذية الطفل تعتمد على التعاون بين الأم وطفلها ، والفهم العاطفي المتبادل بينهما من ساعة ولادته ، والام التي ترضع وليدها تكون أكثر الأمهات بالسكينة «الرضا ، فإرضاعها لوليدها يشعرها بأنها مضحية له بإعطائه شيئاً من أعمق اعماقها .

(١) محمد علي البار ، خلق الانسان بين الطب والقرآن ، ص٤٧١ .

* لبن الأم معقم جاهز ليس به ميكروبات .

* لبن الأم خلق ليفي بحاجات الطفل يوماً بعد يوم منذ ولادته وحتى سن الفطام .

اللبأ يحتوي على كميات مركزة من البروتينات المهضومة ، وعلى المواد المحتوية على مضادات الجراثيم والميكروبات ، وبذلك ينقل مناعة ضد الأمراض .

* يحتوي لبن الأم على كمية كافية من البروتين والسكر تناسب الطفل عكس لبن الأبقار والأغنام .

* نمو الأطفال الذين يرضعون من أمهاتهم أسرع وأكمل من أولئك الذين يعطون حليب القارورة وأمراضهم أقل .

* أطفال القارورة تكثر بينهم العلل النفسية والشذوذ .

* أشار تقرير هيئة الأمم سنة ١٩٨٠ إلى أن أكثر من عشرة ملايين طفل لاقوا حتفهم نتيجة عدم إرضاعهم من أمهم .

فوائد الرضاعة للأم :

* الأرتباط النفسي والعاطفي بين الأم وطفلها أثناء الرضاعة من العوامل الهامة لاستقرار الطفل والأم نفسياً .

* عودة الرحم إلى وضعه وحجمه الطبيعي بسرعة أثناء الرضاعة ، ولولا ذلك لاصيب الرحم بسرعة بالانتان ذلك أن امتصاص الثدي يؤدي الى إفراز هرمون الأوكسيتوسين Oxytocion الذي يؤدي إلى عودة الرحم إلى حالته الطبيعية .

ويشترط أن لاترضع الأم أبنها وهي تعبة أو عندما تكون منفعلة ، كما يفضل تنظيم الرضاعة على فترات كل ثلاث أو اربع ساعات لمرة ، ويجب أن يعطي الطفل بعض الأطعمة الصناعية تدريجياً كلما كبر ، وذلك كي يتم

الفطام تدريجياً ، لأن فقدان الاتصال الوثيق الذي تستلزمه الرضاعة الطبيعية يكون مصدر قلق وإحساس بالحرمان ، ولذلك يفضل أن تستمر الأم برضعة واحدة إلى أن يتم الفطام كلياً ، ويفضل أن يرقد الطفل في حضن أمه عند إطعامه وإرضاعه صناعياً .

وعند ولادة الطفل يجب أن يؤذن بأذنه وأن يختن ، وأن تتم العقيقة بتقديم ذبيحة للطفلة ، واثنتين للطفل الذكر .

هـ- الشروط التي ينبغي توافرها في الأم المرضع في الإسلام :

الأسرة هي المحضن الطبيعي الذي يتولى حماية الفراخ الناشئة ورعايتها وتنمية اجسادها وعقولها وأرواحها ، وفي ظلها تتلقى مشاعر الحب والرحمة ، والتكامل وتنطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة وعلى هدى الإسلام ونوره ، تتفتح للحياة وتفسر الحياة وتتفاعل مع الحياة .

إن الرضاعة عملية جسمية ونفسية لها أثرها البعيد في التكوين الجسدي والانفعالي والاجتماعي في حياة الإنسان وليداً ثم طفلاً ، فقد أدركت الشريعة الإسلامية ما للرضاعة من أهمية للطفل حتى يكون بمأمن من الأمراض الجسمية والجسدية النفسية التي يتعرض لها الطفل الذي يتغذى بجرعات من الحليب الصناعي .

لذلك فقد فرض المولى سبحانه على الأم أن ترضع طفلها حولين كاملين وجعل ذلك حقاً من حقوق الطفل ، ويقول المولى عزوجل﴿**والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف**﴾ البقرة آية ٢٣٣ .

وأكد علماء النفس أن الرضاعة ليس مجرد إشباع حاجة عضوية ، إنما هو موقف نفسي اجتماعي شامل ، يشمل الرضيع والأم ، وهو أول فرصة للتفاعل الاجتماعي . ومن هنا وجب على الأم أن تكون في حالة نفسية هادئة ، بعيدة عن

التوتر والقلق ، حتى لاينعكس ذلك على الوليد ، لأن خبرة الرضاعة السليمة تزيد التوتر والقلق من ثقة الطفل بالعالم ، وتجعله متفائلاً فيما بعد وأقدر على العطاء ، أما إذا كانت خبرة الرضاعة مشوبة بالآلام والحرمان ، فإن ذلك يولد مشاعر الغضب والعدوان .

ومن أهم المشكلات التي تواجه الأم المرضع والطفل الرضيع أثناء الرضاعة مشكلات منها ، ما يكون داخل البيت وخارجه ، وأهم هذه المشكلات هي :

١-المشاكل الزوجية البسيطة .

٢- المشاكل الزوجية التي تؤدي الى الطلاق .

٣- خروج المرأة الى العمل وترك رضيعها .

كل هذه العوامل تؤثر على الطفل الرضيع ، وتنمي لديه حب العدوانية وكراهية المجتمع ، لذلك كلما كان اتجاه الأم نحو هذه العملية اتجاهاً ايجابياً مليئاً بالدفء والهدوء انعكس ذلك على حال وليدها ، فالشعور بالأمان والدفء والحنان والذي يعيشه الرضيع على ثدي أمه يزيد من عاطفته نحوها في المستقبل ، بحيث يكون أكثر عطفاً وحناناً عليها .

وأن شعور الأم بالراحة والسعادة والطمأنينة أثناء ممارسة عملية الرضاعة يخفف إمكانية الإصابة بسرطان الثدي لدى الأم .

ويتردد هنا سؤال لماذا حددت فترة الرضاعة؟

في الواقع أن العلم الإلهي في إدراك مدى حاجة الطفل إلى هذه الفترة ، والتي يقسم فيها نمو الطفل باستمرار ، فهي تعتبر مرحلة انطلاق القوى الكامنة ، وهي مرحلة الإنجازات الكبيرة . حيث أننا نلاحظ على الطفل نمواً جسمياً سريعاً وتناسقاً حسياً وحركياً ملحوظاً في السيطرة على الحركات ، وحيث تبدو حركات القدمين ثم الجلوس فالحبو فالوقوف ، ثم المشي بالاضافة إلى تعلم الطفل الكلام واكتساب اللغة ومن ثم الاستقلال والاعتماد النسبي على النفس والاحتكاك

الاجتماعي بالعالم الخارجي ، وفيها تنمو الذات ويتكون مفهومها الذي يعتبر الحجر الاساسي للشخصية ، ويجب على الأم أن تنتبه لعملية الرضاعة وتعطيها الجدية التامة ، لأن فيها تأثير كبير على الطفل ، لذلك يجب على الأم ان تغذي نفسها جيداً حتى تكون قادرة على عملية الرضاعة ، فإن كانت تغذيتها سليمة فإن الحليب يكون جيداً ، ويستفيد منه الطفل ، أما إذا كانت الأم مهملة لتغذيتها ، فإنه يؤثر على الحليب ، وبالتالي يؤثر على نشأة الطفل ، ويكون غير قادر على ممارسة نشاطه .

صفات المرضعة:

اشترط الأطباء العرب شروطاً للمرضعة في حالة منع الطفل من الرضاعة من والدته ، ومن هذه الشروط [1] :

*السن : ان تكون شابة غير مسنة ، بين الخامسة والعشرين والخامسة والثلاثين ، حسنة اللون قوية العنق والصدر ، متوسطة السمن والهزال .

*الخلق : أن تكون حسنة الاخلاق بطيئة عن الانفعالات النفسانية الدنيئة ، من الغضب والغم والجبن وغير ذلك ، فإن جميع ذلك يفسد المزاج ، وربما أعدى بالرضاع ، ويؤكد الطبري أن اخلاق الطفل يُكتسب أكثرها من المرضعة ، فيجب أن تكون على نهاية الرضا والحمد في أخلاقها وطهارتها .

*الجسم : أن يكون صدرها واسعاً ، وثدياها وسطاً أملسين غير رخوتين ، وحلمتاهما لينتين واسعتين المري (العرق الذي يدر الحليب) ، وأن يكون حليبها جيد الصفات .

(١) د. محمود الحاج قاسم محمد : تاريخ طب الاطفال عند العرب ص ٥٥ .

و- فطام الطفل في الإسلام:

قال تعالى : ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين﴾ ، ﴿حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين﴾ . ﴿حملته أمه كرها ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ . حددت الآية الأولى مدة إرضاع الطفل بحولين وأكدها بقوله ﴿كاملين﴾ ، وذلك لحكمة لا يعلمها إلا هو ثم علمنا اياها ﴿ويعلمكم الله﴾ . والمقصود هنا باللبن لبن الأم وليس لبن المرضعة الأم أو المرضعة الأم ﴿والوالدات﴾ ولم يقل «الأمهات» . وبعد العامين وجب فطام الطفل لأنه أوجب اعتماده على نفسه في الغذاء الخارجي ، ولأن لبن الأم يفقد الكثير من عناصره المغذية ويصير مائعاً . وتبدأ عملية الفطام تدريجياً بتقليل كمية الوجبة وتباعدها عن الوجبة الأخرى ، شيئاً فشياً مع زيادة وجبات سكرية ونشوية وحلويات . واللبن الحقيقي يبدأ إفرازه بسخاء وانسجام اعتباراً من اليوم الثالث أو الرابع للولادة ، ولكنه لا يصبح كافياً بعد عامين . لحاجة الطفل الى وجبات أكثر فعالية ، لضعف مكونات حليب الأم بعد سنتين كما يعتقد .

ويقرر الإسلام أن أقل مدة لرضاعة الطفل واحد وعشرون شهر لقوله تعالى ﴿حملُه وفصاله ثلاثون شهراً﴾ ،فإذا كان الحمل تسعة أشهر ، فمعنى ذلك أن الباقي هو للرضاعة ويفضل أن تتم رضاعة الطفل مدة سنتين ، لقوله تعالى﴿وفصاله في سنتين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ .

وينصح بإعطاء الاطفال عند بلوغهم الثلاثة أشهر كميات صغيرة من الاغذية شبه الصلبة مع الاستمرار بالرضاعة الطبيعية ، ليعتاد الطفل تدريجياً على زيادة كمية الاغذية الصلبة .

وتنصح الأم على عدم نقل ابنها الى الشدي الاخر قبل فراغ الشدي الأول من الحليب ، لأن تفريغ الشدي بشكل كامل يساعد على تكوين الحليب من جديد بشكل كاف وباستمرار . .كما يحسن أن تجلس المرأة المرضع في وضع مريح عند إرضاع الطفل ، (وحاذري أن تبعديه عن صدرك بقوة أثناء رضاعته خشية أن يصبح

شرهاً في رضاعته) ، ويحسن بالأم تحسين غذاءها في فترة الأرضاع والإكثار من السمك والدجاج والخضار والفاكهة وشرب الماء .

وتؤثر طريقة الفطام على شخصية الطفل ومشاعره تجاه أمه وتجاه المجتمع فيما بعد ، فخبراته قد تكون إيجابية ، ويعتمد ذلك على اسلوب الأم في الفطام .

ولاشك أن التبكير في الفطام له مساوئ كثيرة تشعر الطفل بالحرمان من الحب والحنان ، لذلك تنعكس على الطفل في مص الأصابع . أو النكوص فيما بعد ، لذلك حرص الإسلام أن تكون مدة الرضاعة مناسبة ؛ وليس معنى ذلك تأجيل عملية الفطام إلى وقت متأخر جداً ، وتدليله مما قد يؤدي الى تثبيت عادات طفلية يتمسك بها الطفل فيما بعد ، وتعيق اعتماده على نفسه ، وانفصاله عن أمه .

الوحدة الثالثة

حضانة الطفل بعد الفطام

أ- مفهوم الأمومة في الإسلام وواجبات الأم .

ب- مفهوم الأبوة في الإسلام وواجبات الأب .

جـ- رعاية الذكور والإناث ومعاملتهم (التساوي في الحقوق والواجبات ، عزل الذكور عن الاناث . . الخ) .

د- تأديب الأطفال بآداب الإسلام (النظافة ، الطهارة ، آداب التعامل ، الاستئذان ، الصلاة والصيام . . الخ) .

حضانة الطفل بعد الفطام

عندما يولد الطفل تثبت عليه ثلاث ولايات هي :

-ولاية التربية الأولى : اي الحضانة .

-ولاية الحفظ والصيانة والتعليم ، وهي الولاية على النفس .

-الولاية على المال .

والحضانة حق للنساء ، فالأم أولى بها من الأب ، وتقدم الأخت لأم على الأخت لأب ، وتقدم الخالة على العمة ، وهكذا على ماهو مرتب في كتب الفقه .

ويشترط في الحاضنة أن تكون أمينة على أدبه ودينه وخلقه ، وقادرة على القيام بشؤون الطفل .

ويقدر الفقهاء نهاية الحضانة بسبع سنوات للذكور وتسع سنوات للإناث .

والطفل في حاجة الى حضانة والدته ، كما هو في حاجة إلى رقابة أبيه ، وهو بهذا بحاجة إلى تعاون الأسرة ليعيش عيشة سوية ، لأن فترة الحضانة هي الفترة التي يكتسب بها الطفل القيم والتقاليد والاتجاهات والعادات الإيجابية السليمة .

وتشمل حضانة الطفل بعد الفطام على العناصر ، والمفاهيم التالية :

أ- الأمومة في الإسلام:

الزواج هو اساس العلاقة بين الرجل والمرأة في الاسلام ، قال تعالى **﴿والذين هم لفروجهم حافظون (٢٩) إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم (٣٠)﴾** المعارج آية ٢٩ ، والزواج فرض على رأي الفقهاء [١] إلا أن البعض يعتبره سنة ، قال ﷺ «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له رجاء» .

---

(١) محمد ابو زهرة ، تنظيم الاسلام للمجتمع ، ص٦٦ .

أدرك المسلمون فوائد الزواج ، فذكر الغزالي أن الزواج «مماهدة النفس ، ورياضتها برعاية الولد ، والولاية عليه ، والقيام بحق الأهل والصبر ، على أخلاق التستر ، واحتمال الأذى ، والسعي في الإصلاح والإرشاد الى طريق الدين والاجتهاد في الكسب الحلال» .

ويركز الإسلام على الأسرة ، ذلك لأنها المسؤولة عن التنشئة الاجتماعية ، وتعليم الأطفال السلوك المنتظر منهم ، والقواعد التي تحدد هذا السلوك .

وتعتبر الأم الاساس الأول في حضانة الأطفال ، فقد ذهبت امرأة الى النبي ﷺ ، وقالت : يا رسول الله إن هذا ابني كان بطني له وعاء ، وحجري له حواء ، وثديي له سقاء ، وأن أباه طلقني ، واراد ان ينزعه مني ، فقال ﷺ ، انت أحق به ما لم تتزوجي .

قرر الفقهاء أن الأم تقدم على الأب في حضانة الأطفال ، ذلك أن الأم قادرة على رعاية ابنها رعاية تامة في الغذاء والصحة .

أن الأم قادرة على تربية الأطفال ، وترعاهم رعاية سليمة ،وتحمي الأطفال من الانحراف والتشرد ، قال تعالى﴿**والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً**﴾ سورة النحل آية ٧٨ .

ويجب على الأم مراعاة مايلي :

*العناية بتنظيف الطفل أنفه ، وفاه ،واذناه ، وعينه ومخرج البول والبراز .

*العناية بسرته ، وجلده ، وتغسيله بالماء الفاتر .

*تغذية الطفل من لبنها .

ب- الأبوة وواجبتها في الإسلام.

ان الابوين هما المسؤلان عن تربية الطفل ، وتنشئته نشأة اسلامية صالحة

وجيدة ، وللابوين شعور نفسي نحو الأولاد ، والمقصود بالشعور النفسي هو ابراز ماأودع الله سبحانه وتعالى في قلب الأبوين من حب وعطف ورحمة نحو اولادهما .

ومن المعلوم ان الأبوين مفطوران على محبة اولادهما ، ويملكان كثيراً من المشاعر النفسية والعواطف والرحمة والشفقة عليهم والاهتمام بهم .

❖ الرحمة بالاولاد منحة من الله للعباد:

من المشاعر النبيلة التي اودعها الله في قلب الابوين ، هو الشعور بالرحمة والرأفة بهم والعطف عليهم وهو شعور كريم في تربية الأولاد ، وتنشأتهم نشأة صالحة ، والقلب الذي يتجرد من خلق الرحمة ويتصف صاحبه بالقسوة والشدة فهذه الصفات القبيحة لها ردود في انحراف الأولاد ، فلذلك نجد أن الشريعة الاسلامية قد رسخت في قلوب الأبوين خلق الرحمة ، وحضتهم على التحلي بها والتمسك بها . روي عن الرسول ﷺ «إنه قبل الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس ، فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً ، فنظر رسول الله ﷺ ثم قال «من لايرحم لايرحم» .

❖ فضيلة من يتجلد لموت ولده:

عندما يصل المسلم الى درجة عالية من الإيمان ، ويؤمن بحقيقة القضاء خيره وشره ،فإنه يصبر على موت ابنه ، فيبني الله له بيتاً في الجنة ، ولهذا الصبر ثمرات يقتطفها المسلم الصابر يوم لاينفع فيه مال ولا بنون ، وهذا الثمرات سبيل الى الجنة وحجاب من النار ، كذلك إن الولد الذي يموت وهو صغير يشفع لأبويه يوم القيامه .

❖ تغليب مصلحة الإسلام على حب الولد:

إذا كان قلب الأب يحمل مشاعر صادقة من الحب والعطف والحنان والرحمة

نحو اولاده ، فلا يجب أن تطغى هذه المشاعر على الجهاد في سبيل الله ، لأن مصلحة الإسلام فوق كل المصالح ، ولأن اقامة مجتمع مسلم غاية المؤمن ، لأنه إذا صلح المجتمع صلح افراده .

مسؤولية الوالدين:

❖ مسؤولية التربية الإيمانية :

التربية الإيمانية ربط الولد منذ تعقله بأصول الإيمان ، وتعويده من تفهمه باركان الإسلام ، وتعليمه من حين تمييزه مبادئ الشريعة الإسلامية . لأنها هي الركيزة الاساسية التي يجب على الآباء ان يوجهوا اهتمامهم اليها ، وعلى الأب أول ما يسمع ولده كلمة لا اله إلا الله ، لما روي عن الرسول عليه الصلاة والسلام«افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا اله الا الله» .

لتكون كلمة التوحيد وشعار الدخول في الاسلام ، وأول ما يقرع سمع الطفل وكذلك :

-تعريفه أول ما يعقل من احكام الحلال والحرام .

-أمره بالعبادات وهو في سن السابعة .

❖ مسؤولية التربية الخلقية :

يقصد بالتربية الخلقية مجموعة المبادئ الخلقية والفضائل السلوكية والوجدانية التي يجب أن يتلقنها الطفل ، ويكتسبها ويعتاد عليها منذ صغره ، حتى يصبح شاباً . وهذه الفضائل ثمرة من ثمرات الإيمان الراسخ ، والتنشئة الدينية الصحيحة ، وحينما تكون التربية للطفل بعيدة عن العقيدة الإسلامية فإن الطفل يتربى على الفسوق والانحلال والضلال . ووضع الإسلام للآباء أهم المبادئ الخلقية التي يجب أن يتبعوها :

١-نهى الأولاد عن الاستغراق في التنعم .

٢- نهي الأولاد من التشبه والتقليد الاعمى .

٣- نهي الأولاد عن الاستماع الى الموسيقى والغناء الخليع .

٤- نهي الاولاد عن التخنث والتشبه بالنساء .

٥- نهي الاولاد عن السفور والتبرج والاختلاط والنظر الى المحرمات .

فعلى الأبوين ان يهتموا بالمبادئ الخلقية ، ويحرصوا عليها وينشؤوا ابناءهم على الالتزام بها ، وتعويدهم على حسن الخلق ، والملاطفة والمعاملة الحسنة مع الاخرين .

❖ مسؤولية التربية العقلية :

التربية العقلية تكون فكر الولد بكل ماهو نافع من العلوم الشرعية والثقافية العصرية والعلمية والتوعية الفكرية والحضارية . . .حتى ينضج الولد فكرياً ويتكون علمياً وثقافياً ، فهذه المسؤولية مهمة لأن جميع المسؤوليات السابقة متساندة ومترابطة مع بعضها البعض لتكوين الولد الشامل وتربيته تربية كاملة ليصبح انسانا كاملاً .

فمسؤولية الآباء والمربين في التربية تتركز على الامور التالية :

١-الواجب التعليمي ٢- التوعية الفكرية ٣- الصحة العقلية .

❖ عقوبة الولد وهجره لمصلحة تربوية :

بما أن الولد صغير وما دام في سن التعليم والتربية فيجدر بالابوين الايتركا وسيلة من وسائل الاصلاح إلا يسلكوها ، وذلك من أجل أن ينشأ الولد نشأة اسلامية ، ويتصف بادب خلقي اجتماعي رفيع المستوى .

وللإسلام طريقته في تربية واصلاح الولد ، فإن كان الولد ينفع معه الملاطفة والوعظ ، فلا يجوز للأب أن يلجأ للهجر ، وأن كان ينفع الزجر والهجر فلا يجوز له أن يلجأ الى الضرب غير المبرح ، هذا إذا انحرف الولد وفسق وهو على الإيمان والإسلام ، أما إذا

لحد وكفر وخرج عن العقيدة الإسلامية ، فالتبرؤ منه والهجران له واجب .

❖ حق الأبوين :

يجب على الولد معرفة حق والديه عليه ، ويكون ذلك ببرهما وطاعتهما والإحسان اليهما ، والقيام بخدمتيهما ورعاية شيخوختهما ، وعدم رفع الصوت فوق صوتهما ، والدعاء لهما بعد مماتهما ، الى غير ذلك من هذه الحقوق الواجبة ، والآداب الأبوية اللازمة . وهذه طائفة من وصايا الرسول الكريم في بر الوالدين ، على الآباء أن يعلموها لأولادهم ، وهم صغار حتى يأخذوا بها :

١-برهما مقدم على الجهاد في سبيل الله ، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال :«قال رجل للنبي ﷺ أجاهد ، قال : ألك أبوان ؟ قال : نعم ،قال ففيهما فجاهد» .

٢-ومن البر الدعاء لهما بعد مماتهما واكرام صديقهما امتثالاً لأمر الله تبارك وتعالى﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾ سورة الاسراء ، آية ٢٤ .

٣- رضا الله في رضاهما .

٤-تقديم الأم بالبر على الأب . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : «جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي ؟

قال : أمك ، قال : ثم من ، قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ابوك» .

٥- ادب البر بالام : -على الاولاد ان يتحلوا بآداب سلوكية مع امهاتهم وآبائهم وهي كما يلي الا يمشوا أمامهم ، الا ينادونهم باسمائهم ، الا يتضجروا من نصائحهم ، ولا يخالفوا أمرهم ، ولايجلسوا قبلهم ، ولايرقوا مكاناً عالياً فوقهم .

❖ مسؤولية التربية الجسمية :

من المسؤوليات الكبرى التي أوجبها الإسلام على الآباء الاهتمام بالنواحي الجسمية للطفل ، من أجل أن ينشأ نشأة جيدة ، من قوة الجسم وسلامة البدن ، وفيما يلي المنهج العلمي الذي رسمه الإسلام في تربية الأولاد :

١-وجوب النفقة على الأهل والولد .

٢-اتباع القواعد الصحية في المأكل والمشرب والنوم .

٣- التحرر من الامراض السارية المعدية .

٤- معالجة المرض بالتداوي .

٥- تعويد الولد على ممارسة الرياضة والعاب الفروسية .

٦- تعويد الولد على التقشف وعدم الاغراق في التنعم .

٧- تعويد الولد على حياة الجد والرجولة ، والابتعاد عن التراخي والميوعة والانحلال .

❖ مسؤولية التربية النفسية :

التربية النفسية تربية الولد منذ أن يعقل على الجرأة ، والصراحة والشجاعة والشعور بالكمال ، وحب الخير للآخرين والانضباط عند الغضب ، والتحلي بكل الفضائل الخلقية والنفسية .

والهدف من التربية هو تكوين شخصية الولد وتكاملها ، حتى يستطيع عندما يكبر أن يقوم بالواجبات المكلف بها على اكمل وجه .

فالولد عندما يولد هو أمانة بيد ابويه ، فالاسلام يأمر الآباء أن يغرسوا فيه اصول الصحة النفسية ، من صغره حتى تؤهله لأن يكون انساناً ذا عقل ناضج ، وتفكير سليم ، وعليهم ان يحرروا الولد من الأمور التي تحطم من كيانه وشخصيته ، وتجعله ينظر نظرة حقد وكراهية وتشاؤم .

وعلى الوالدين ان يحرروا ابناءهم من الامور التالية :

١-ظاهرة الخجل .

٢- ظاهرة الخوف .

٣- ظاهرة الشعور بالنقص .

٤- ظاهرة الحسد .

٥- ظاهرة الغضب .

٦- ظاهرة الانانية وعدم التعاون .

❖ مسؤولية التربية الاجتماعية .

وعلى الآباء تدريب ابنائهم على الثقة بالنفس ، والحب والتعاون مع الاخرين ، والاعتماد على انفسهم ، وتجنيبهم الحساسية والانانية .

هو تأديب الولد منذ صغره على الالتزام بآداب اجتماعية فاضلة ، نابعة من العقيدة الاسلامية ، ومن الشعور بالايمان العميق ،حتى يظهر الولد في مجتمع اجتماعي حين يكون تعامله مع الاخرين جيداً أيضاً ، فهذه التربية ظاهرة سلوكية وجدانية إذ تربى الولد على اداء الحقوق والتزام الادب وحسن السياسة والتعامل مع الاخرين ، فمن الوسائل التي تؤدي الى تربية اجتماعية فاضلة :

١-غرس الاصول النفسية النبيلة ، مثل : التقوى ، والاخوة ، الرحمة ، الايثار .

٢-مراعاة حقوق الاخرين ، مثل : حق الابوين ، حق الارحام ، حق المعلم ، حق الرفيق ، حق الكبير .

٣- التزام الآداب الاجتماعية العامة ، مثل : اداب الطعام الشراب ، السلام ، والاستئذان ، المجلس ، الحديث ،التهنئة .

❖حقوق الاولاد على الاباء :

الزمت الشريعة الاسلامية الآباء نحو اولادهم ، كما اوجبت للآباء حقوقاً على اولادهم قد بينها وحث عليها القرآن الكريم والسنة النبوية :

١-ان يختار الرجل الأم الصالحة لاولاده ، وأن تكون ذات أصل وشرف ، وذات اخلاق لما للزوجة من تأثير بالغ في تربية اولادها وفي سلوكهم ، خاصة في بداية الطفولة التي لا يعرف الطفل فيها غير أمه التي تكون مصدر الغذاء والعطف والحنان لقول الرسول ﷺ :«تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس» .

٢-أن يختار الاسم الحسن لولده خاصة إذا كان ذكراً لأن للاسم تأثير ايجابي على شخصية الطفل وسلوكه ، وطموحاته ، يقول الرسول ﷺ : «من حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه » وقوله : «احب الاسماء الي عبد الله وعبد الرحمن» .

٣-أن يحسن تأديب وتعليم اولاده ، ويساعدهم على بناء العقيدة والدين ،ويبصرهم باحكام ومبادئ دينهم ، وتأدية الشعائر الدينية والصلاة ، الصوم ، الحج ، الزكاة .

٤- على الوالد أن يكرم اولاده ويحسن اليهم ، ويعدل بينهم ويوسع عليهم .

٥- أن يهيأ لهم المثل الطيب والقدوة الصالحة ، في كل ما يدعو لهم الله من خير مع تهيئة الجو المنزلي الصالح الغني بالمثيرات الثقافية ، المملوء بالعواطف الانسانية ، الخالي من الصراعات العائلية .

٦- تنمية استعدادتهم ومواهبهم وقواهم ، وأن يسمح لأولاده بالنشاط المرغوب والمفيد لنموهم في داخل البيت وخارجه .

٧- كما أن على ولي أمر الولد أن لا يهمل تعليم ابنه منذ نعومة إظافره ، وأن ينفق عليه من ماله ويؤهله حتى يتبوأ مكانه في مجتمعه ، وذلك بمقدار تعليمه وطاقته والتعليم واجب لأنه يبصر المرء بماله .

جـ- رعاية الذكور والاناث ومعاملتهم :

التساوي في الحقوق والواجبات : ساوى الإسلام في الحقوق والواجبات بين الذكور والإناث ، واعتبر المفاضلة بين الاولاد هو من اعظم العوامل المساعدة في انحراف الولد نفسياً سواء أكانت عدم المساواة أو المفاضلة في العطاء أم في المحبة . . .

وهذه الظاهرة لها أسوأ النتائج في انحرافات الولد السلوكية وتعقيداته النفسية . . . لأنها تولد الحسد والكراهية ، وتسبب الخوف والحياء والانطواء والبكاء . . . وتورث حب الاعتداء والمشاجرة والعصيان . . .وتؤدي الى المخاوف الليلية والاصابات العصبية ، والشعور بالنقص .

وكم كان المربي الأول صلوات الله وسلامه عليه حكيماً ، ومربياً اجتماعياً عظيماً حين أمر الاباء ان يتقوا الله ويعدلوا بين أولادهم ، روى ابن حيان عن رسول الله ﷺ أنه قال :« رحم الله والداً اعان ولده على بره» . وروى الطبراني وغيره «ساووا بين أولادكم في العطية» .

وروى بخاري ومسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما : -أن أباه اتى به الرسول ﷺ فقال : إني نحلت ابني هذا - أي اعطيته - غلاماً كان لي فقال رسول الله ﷺ «أكل ولدك نحلته مثله . فقال لا . فقال رسول الله ﷺ : افعلت هذا بولدك كلهم ؟ فقال : لا . قال عليه السلام «اتقوا الله ، واعدلوا بين اولادكم» فرجع ابي ورد تلك الصدقة .

فيؤخذ من هذه التوجيهات النبوية الكريمة مبدأ تحقيق العدل والمساواة والمحبة . . . . فيما بين الاولاد دون أن يكون لعنصر التفريق او التحيز مكان بينهم .

قد يكون لعدم المساواة بين الاولاد والعناية بهم اسباب مثل :

١-ان يكون الطفل من الجنس غير المرغوب فيه كالانثى مثلاً .

٢- ان يكون قليل الحظ من الجمال أو الذكاء .

٣- ان يكون مصاباً بعاهات جسمية ظاهرة ، ولكن كل هذه المبررات لا تعد في

نظر الشرع سبباً لعدم المساواة بين الاولاد ، قال تعالى **﴿أعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله﴾** سورة المائدة آية ٨ ، فالإسلام بدعوته الى المساواة المطلقة بين الاولاد ، والعدل الشامل لم يفرق في المعاملة الرحيمة والعطف الأبوي بين رجل وامرأة وذكر وانثى ، تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى **﴿ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى﴾** سورة النمل آية ٩٠ .

وتنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ القائل في الحديث الذي رواه اصحاب السنن والإمام احمد «اعدلوا بين ابنائكم ، اعدلوا بين ابنائكم ، اعدلوا بين ابنائكم» .

فانطلاقاً من هذا الأمر القرآني والتوجيه النبوي حقق الآباء في اولادهم عبر العصور والتاريخ مبدأ العدل والمساواة في المحبة والمعادلة والنظرة الحانية والملاحظة الرحيمة ، دون أن يكون بين الذكور والاناث أي تحيز أو تفريق ، وإذا وجد في المجتمع الاسلامي آباء ينظرون الى البنت نظرة تحيز عن الولد ، فالسبب في هذا يعود الى البيئة الفاسدة التي رضعوا منها اعرافاً ما أنزل بها من سلطان ، بل هي اعراف جاهلية محضة ، وتقاليد اجتماعية بغيضة يتصل عهدها بالعصر الجاهلي الذي قال الله تعالى فيه **﴿واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى (٥٨) من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب الاساء ما يحكمون﴾** النحل ٥٩ .

فمن المعروف أن المربين حين يساوون بين الاولاد في المعاملة ، ويحققون العدل والمساواة بينهم في العطاء تتلاشى ظاهرة الحسد من نفوسهم وتزول آفاق الأحقاد من قلوبهم ، بل يعيش الأبناء مع اخوتهم ومربيهم في تفاهم تام ومحبة متبادلة ، فلا عجب أن نرى المعلم الأول والمربى الأكبر صلوات الله عليه ، وهو يحض الآباء والمربين جميعاً على تحقيق مبدأ العدل والمساواة بين الاخوة .

بل كان عليه الصلاة والسلام يستنكر كل الإنكار على الذين لا يحققون عدلاً ولا مساواة بين اولادهم ، ولا يسون بينهم في القسمة والعطاء .

عزل الذكور عن الاناث:

أوجب الإسلام فصل الذكور عن الاناث في النوم ، وذلك لقوله صلوات الله عليه وسلم :«مروا أولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم عليها وهم ابناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع» .

❖حق الأطفال في الحياة :

وأول هذه الحقوق وأولاها بالحنان حق الحياة وهو حق مقدس لا يحل أنتهاك حرمته ولا استباحة حماة ،قال تعالى﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**﴾ سورة الاسراء اية٣٣ .

وقال تعالى﴿**لا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولاتقربوا الفواحش ما ظهر ومابطن**﴾ سورة الانعام آية ١٥١ .

وقال تعالى﴿**واذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت**﴾ سورة التكوير اية٩ .

ومن حرص الاسلام على حماية النفوس أنه هدد من يستحلها بأشد العقوبة ﴿**ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذاباً عظيماً**﴾ سورة النساء اية٩٣ ، ومن شدة عناية الاسلام بحماية الأنفس أنه حرم اسقاط الجنين بعد أن تدب الحياة فيه ، إلا إذا كان هناك سبب حقيقي يوجب اسقاطه كالخوف على أمه من الموت .

د- تأديب الأطفال بآداب الإسلام:

أوجب الإسلام التحلي بالاداب الاسلامية منها :

١- الصلاة ٢- الطهارة والنظافة ٣- آداب التعامل ٤- الاستئذان ٥- الصيام .

١- الصلاة:

لقد امر الرسول ﷺ الوالدين بأن يلقنوا أولادهم ركن الصلاة وهم في سن السابعة ، قال عليه السلام «مروا أولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع سنين وأجبروهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع» .

وهكذا يمكن ان يصل المربي بالطفل الى الايمان بالله الواحد المبدع ،عن طريق التأمل والتفكير في خلق السموات والأرض ، وعن طريق التدرج معه من المحسوس الى المعقول ، ومن الجزئي إلى الكلي ومن البسيط الى المركب ، حتى يقنع الولد وجدانياً وعقلياً في قضية الإيمان عن حجة وبرهان ، ويجب أن يتعلم الولد الصلاة واحكامها وعدد ركعاتها وكيفيتها ، ثم تعويده القيام بها بالملاحقة والمثابرة وادائها في المسجد جماعة ، لتصبح الصلاة في حقه خلقاً وعادة ، ويجب ان نعلمه ان يصلي في الليل لما فيه من فضائل فهو سبيل الى الجنة ، وأن القائم لليل يكتب عند الله من الذاكرين ، وأنه قربة الى الله ، مكفر للخطايا ويجب أن نعلمه أن يصلي صلاة الفجر في المسجد ، وأن يدعو بالأدعية الواردة في سنه الرسول ﷺ ومنها مايدعى به بعد صلاة الفجر «لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير» ، «اللهم أجرني من النار» ، ويجب أن نعلمه ما تيسر من القرآن الكريم ، قال عليه الصلاة والسلام «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» .

٢- الطهارة والنظافة:

يجب ان ندرب الطفل على النظافة : قال الرسول ﷺ «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير اسراف ولامخيلة» .

وقد اعتنى الاسلام بالمظهر ، وأمر المسلم بالنظافة لأنها أساس كل زينة حسنة ومظهر جميل ولائق ، فأوجب ان تكون ثياب المسلم ذات رائحة جميلة ، وخاصة في المسجد ، وفي أي وقت من الاوقات ، أو أي مكان ، ويجب أن نعلم الطفل كيف يدخل الى مكان قضاء الحاجة (الحمام) وهي كالتالي :

١- ان يدخل برجله اليسرى والخروج بقدم الرجل اليمنى .

٢- عندما يدخل الى الخلاء يقول الدعاء «اللهم أني اعوذ بك من الخبث والخبائث» .

٣- ان لا يتكلم في الخلاء او الاكل في الخلاء .

٤- أن لا يصحب معه شيء فيه ذكر الله بشكل ظاهر .

٥- ان يبتعد عن اعين الناس اذا كان في الخلاء .

٦- ان يقول عندما يخرج أن يدعو بالدعاء المأثور . «الحمد لله الذي اذهب عنى الاذى وعافاني» .

٦- أن يغسل يديه بالماء والصابون بعد الخروج .

❖ عملية الوضوء:

نبين للطفل فضل الوضوء وأنه يغفر الذنوب اذا توضأ العبد المسلم ، فإذا غسل وجهه خرج من الوجه كل خطيئة نظر اليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطرة من الماء ، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مستها رجلاه مع الماء ، أو مع آخر قطرة من الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب ، وعملية الوضوء تخلص المسلم من الأوساخ لأنه يتوضأ في اليوم خمس مرات .

٣- آداب التعامل:

قال عليه السلام «علموا أولادكم وأهليكم الخير وأدبوهم» .

كان عليه السلام يعلم من كان في عنقه حق التربية القدوة الصالحة في كل شيء حتى يؤخذ عنهم ، ويتأسى بهم ويتأثر الاولاد بأفعالهم الحميدة ومواعظهم المؤثرة ، فالطفل حين يجد من ابويه وقريبه القدوة الصالحة ، فأنه ينشر مبادئ الخير ويتطبع على اخلاق الاسلام ، ويجب ان نعلم الطفل ان لايبدأ أهل الكفر بالسلام ، وفي رواية عن البخاري عن الرسول ﷺ قال : «يسلم الصغير على الكبير» . ومن آداب التعامل :

١-يجب ان يتعلم الطفل الصدق في كل شيء ،فإذا كان أبويه يكذبان ويرى أبواه يغشان أو يخونان لايمكن ان يتعلم الامانة والصدق .

٢-يجب ان يتعلم الكلمات الحميدة : فإذا سمع من أبويه كلمة الكفر والسب والشتيمة لا يمكن أن يتعلم حلاوة اللسان .

قال الرسول «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال ، حب بينكم وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن الكريم» .

وقال أيضاً «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع» .

وقال :« المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخلل» .

٣-يجب أن يعامل كبار السن برفق ولين واحترام .

قال عليه السلام :«ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولا يعرف حق كبيرنا» .

٤- أدب المزاح : عدم المزاح مع من هم أكبر من سناً وعدم الاكثار منه وعدم الاذى فيه والاساءة لأحد .

٥-أدب الطعام : اذا حضره الطعام يجب ان يقول : بسم الله ، واذا نسي ، يقول بسم الله اوله واخره ، وبعد أن يكمل من تناول الطعام ، يقول الحمد لله ، اللهم زدها نعمة وإحميها من الزوال .

٦-أدب الحديث : مع من هم أكبر منه سناً بأن يكون الكلام لطيفاً خالياً من الكلام الفاسد .

٧- أدب السلام : قال رسول الله : «يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير» وقال أيضا« اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم» .

❖ الاستئذان:

قال تعالى ﴿ **واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما أستأذن الذين من قبلهم**﴾ سورة النور آية ٥٩ .

إذا بلغ الاطفال سن الرشد والبلوغ ، فعلى المربين ان يعلموهم آداب الاستئذان ، فما على المربين إلا أن يأخذوا بآداب القرآن الكريم في تلقين الولد منذ أن يعقل آداب الاستئذان إذا أرادوا لاولادهم الخلق الفاضل والشخصية الاسلامية المنيرة والسلوك الاجتماعي الخير .قال تعالى﴿ **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتو البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون**﴾ البقرة ١٨٩ .

٤- الصيام:

هو تخل مؤقت عن شهوات الجسد خلال النهار من الفجر الى الغروب لمدة شهر رمضان ، وهو يعبر عن الخضوع لأحكام الله ، والتوقف عن الانسياق للشهوات المشروعة ، والتزام مؤقت لحياة فيها جوع وعطش وتقشف لتربية النفس وضبطها .

إن شهر رمضان ، الشهر الذي بدأ فيه نزول القرآن ، شهر الثورة على الشهوات ، شهر العبادة ، التي تجعل العقيدة الاسلامية حية في النفوس ، وتنقلها من حيز الفكر المجرد الى حيز القلب ، ان الصيام هو تجديد النفس بالتوبة ، لذلك يجب ان نعود ابناءنا على الصيام وندربهم منذ الصغر . وغني عن البيان ان للصيام احكام تفصيلية في كتب الفقه يمكن العودة اليها .

قال تعالى﴿يأيها الذين آمنو كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ البقرة ١٨٣ .

الوحدة الرابعة

حقوق الطفولة في الاسلام

أ-حق الاطفال في الأبوة والأمومة البينة الأرومة والمحتد

ب- حق الاطفال في ان ينسبوا الى آبائهم .

جـ-حق الاطفال في الحياة .

د- حق الاطفال في الحرية الواعية المستنيرة .

هـ- حق الاطفال في ان يسموا بالاسماء الحسنة والمحببة .

و- حق الاطفال في الرعاية التامة (مأكل وملبس ونفقة) .

ع- حق الاطفال في الإعاشة من بيت مال المسلمين عند الحاجة .

س- حق الاطفال في العدل والمساواة في المعاملة .

ص- حق الاطفال في التأديب والتعليم .

حقوق الطفولة في الاسلام

أكد الإسلام منذ اربعة عشر قرناً على حقوق الانسان وتحريره من الخوف والعوز والفقر ، وقرر مبادئ الاخاء والمساواة بين بني البشر كافة ، فكان ثورة في تاريخ الانسانية ورسالة خالدة تضرب في اعماق الابدية الى ما شاء الله .

لقد حرص الإسلام على التوازن بين الفرد والجماعة ، واعترف بحرية الفرد ، واستقلاله الفكري والاجتماعي والاقتصادي ، وجعله حراً من كل قيد ، وإذا كان ثمة قيود فإنما القصد منها التنظيم ،وخير الفرد والجماعة على حد سواء ،وصدق الله عزوجل حيث قال ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾سورة الاسراء ٧٠ .

لقد وضح الاسلام الواجبات والحقوق التي يجب أن يتمتع بها كل فرد ، وركز على الحقوق التي يجب توفيرها للطفل لتنشئته تنشئة سليمة ، خالية من كل التعقيدات ، التي تضمن عدم انحراف الطفل واكسابه القيم الاسلامية الايجابية ، فكان لهذه الحقوق ان منحت للطفل الثقة في النفس ، والعزة والكرامة ، والقدرة على التعاون ، والبناء ، وحب البلاد والانتماء لها ، والدفاع عن الإسلام .

ومن الحقوق التي قررها الإسلام للأطفال :

أ- حق الأطفال في الأبوة والأمومة:

غني عن البيان أن قلب الأبوين مفطور على محبة الولد ، ومتأصل بالمشاعر النفسية ، والعواطف الأبوية لحمايته ، والرحمة به ، والشفقة عليه والاهتمام بأمره .

ولولا هذه الفطرة لانقرض النوع الإنساني من الأرض ، ولما صبر الآباء على رعاية الاولاد ، وتربيتهم وتنشئتهم اجتماعياً ، والقيام بكفالتهم ، والنظر في مصالحهم والسهر على أمرهم ، وتربيتهم ، واعدادهم اعداداً صالحاً .

وقد صور القرآن الكريم المشاعر الأبوية الصادقة ، وزين الحياة بالاولاد ، بقوله تعالى ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ الكهف ٤٦ .

وجعل القرآن الاولاد نعمة عظيمة تستحق الشكر بقوله تعالى ﴿وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا﴾ الاسراء ٦ .

واعتبر القرآن الكريم الاولاد قرة عين ، واطمئنان للوالدين لقوله تعالى ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين ، واجعلنا للمتقين إماما﴾ الفرقان ٧٤ .

وقد تعرض كثير من الشعراء الى محبة الأولاد وحبهم ، وحرص الابوين عى اعداد الابناء اعداداً صالحاً . يقول أمية بن ابي الصلت ما يظهر الرقة والحنان نحو ابنه .

غدوتُك مَوْلوداً وعلتُك يافعا
تعلُّ بما أجني عليكَ وتنهل
إذا ليلة صَادفتك بالسقم لم أبت
لسقمك الا ساهراً اتململ
كأني أنا المطروق دونك بالذي
طَرقتَ به دوني فعيني تهملُ
تخافُ الرّدى نفسي عليك وإنها
لتعلمُ أنَّ الموتَ وقت مؤجلَ

ب-حق الأطفال في أن ينسبوا إلى آبائهم

قررت الشريعة الإسلامية ان النسب لا يثبت الا بولادة حقيقية ناشئة من علاقة غير محرمة ، لذلك حرم الإسلام التنبي تحريماً قاطعاً ، ونفى ان يكون التنبي سبباً لثبوت النسب لقوله تعالى﴿ **ماجعل ادعياءكم ابناءكم ذلك قولكم بافواهكم ، والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله ، فإن لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم**﴾ سورة الاحزاب آية (٤، ٥) .

لقد تبنى الرسول ﷺ مولاه زيد بن حارثة ، بعد أن اهدته اليه زوجته خديجة ، فكان ينادي زيد بن محمد ، فنزل القرآن ينفي التبني نفياً مطلقاً في النص السابق ، ونسبته الى ابيه .

حرم الإسلام التبني ونسبه الابناء لغير آبائهم للاسباب التالية :

*ان التبني مخالف للفطرة الانسانية ، وكذلك ، لأن الابوة والامومة ليست عقداً يعقد ، وإنما حنان وارتباط ،لحم ودم .

* لا يمكن أن يأتلف الابن المتبنى مع سائر افراد الاسرة ، فإذا كان للرجل أخوة فلا يشعرون نحو الابن المتبنى بالرحمة بل بالتنافر والتنابذ .

* يتخذ التبني في كثير من الأحيان للمكايدة في داخل الاسرة ، لا للشفقة بالولد المتبنى ، فيتبنى الولد ليمنع ميراث قريب له ، ولا يصح ان يقر نظام يتخذ سبيلاً للكيد .

*الاسلام وسع نطاق الاسرة الاسلامية ، فجعلها تشمل الاعمام والاجداد ، ولهم حقوق وعليهم واجبات .

لذلك من حق الاطفال أن ينسبوا إلى آبائهم ويجوز أن يعهد بهم الى اسر تتولاهم ، ويكونون بمنزلة الابناء ولكن ليس من قبيل التنبي .

والقرآن يجعل الرجل والمرأة شريكين في تحمل اعظم المسؤوليات في الحياة الانسانية ، قال تعالى ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله**﴾ التوبة ٧١ .

يعتبر الإسلام البيت مملكة المرأة العظيمة ، وهي ربته ومدبرته وقطب رحاه ، فهي أم الاولاد ، وزوجة الرجل وشريكة حياته ،تدبر شؤون بيته وترعى الاولاد ، وتحسن تربيتهم .

جـ- حق الاطفال في الحياة:

يعتبر هذا الحق الصق الحقوق بوجود الانسان ، وهو حق طبيعي له ،ومن نعم الخالق سبحانه ، ولكن بعض الحضارات كانت تحرم الانسان حقه هذا ، ففي العصور القديمة كان الناس لا يقيمون وزناً لهذا الحق ، فيزهقون ارواح الاطفال خشية الفقر ، أو العار ، فجاء القرآن الكريم ينهى عن القتل وسفك الدماء ، وشرع شريعة القصاص ليكون العقاب العادل لكل من يخرج على حدود الله ،واعطى الاسلام حق الحياة لكل طفل ، وتوعد الله المخالفين بأشد انواع الوعيد ، قال تعالى **﴿ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم﴾** الانعام آية ١٥١ ، وقال **﴿واذا المؤودة سئلت (٨) بأي ذنب قتلت (٩)﴾** التكوير ، وقال **﴿واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾** النحل ٥٨ ، وقال **﴿قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم ،وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وماكانوا مهتدين﴾** الانعام ١٤٠ .

وقد اوصى الرسول ﷺ المسلمين في خطبة الوداع بمنع سفك الدماء ، بقوله «ايها الناس ان دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا في يومكم هذا » .

ويسن ان يعق عنه :

روى البخاري في باب اماضة الاذى عن الصبي في العقيقه عن سلمان بن عامر الضبي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مع الغلام عقيقه . فأمر عنه دما واحيطوا عنه الاذى» .

وسن رسول الله ﷺ ان يذبح عن الغلام شاتان وعن البنت شاه ، قال إبن حجر في الفتح ، اخرج اصحاب السنن الاربعة من حديث ام كرز انها سألت النبي عن العقيقه فقال : عن الغلام شاتان وعن الجارية شاه واحده ولا يضركم ذكراً كانت أو اناثاً .

والعقيقه عند جمهور الفقهاء سنه مستحبه ،قال احمد بن حنبل لا احب لمن امكنه وقدر ان لا يعق عن ولده ولا يدعه لأن النبي قال الغلام مرتهن بعقيقته ، فهو اشد ما روى في العقيقة .

إستحباب التأذين في أذنه اليمنى واقامة الصلاة في أذنه اليسرى :

عن عبد الله بن ابي رافع عن ابيه قال : رأيت رسول الله ﷺ «أذن في أذن الحسن بن علي حين ولدته فاطمة بالصلاة ، وذكر ابن نافع في تحفة المودودة عده احاديث في هذا الباب ، وعلق عليها بقوله : وسر التأذين والله اعلم ان يكون أول ما يقرع سمع الانسان كلماته المتضمنه لكبرياء الرب ، وعظمته والشهادة التي يعلن بها المسلم أو ما يدخل بهاالإسلام .

فكأنه يلقن شعار الاسلام عند دخوله الدنيا ، كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها ،و غير مستنكر وصول أثر التأذين الى قلبه وتأثيره ، وإن لم يشعر مع ما في ذلك من فائدة أخرى ، وهي هروب الشيطان من كلمات الأذان ، وهو ماكان يرصده حتى يولد ، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها فيسمع الشيطان ما يضعفه ويغطيه أول أوقات تعلقه به . وفيه معنى اخر وهو تكون دعوته الى الله وإلى دين الإسلام ، وإلى عبادته سابقة على دعوه الشيطان ، كما أبانت فطره الله فطره الناس عليها سابقة على تغيير الشيطان لها ،و نقله عنها ولغير ذلك من الحكم(١) .

وقا ل مالك رضي الله عنه :

الأمر عندنا في العقيقه ان من عق فإنما يعق عن ولده بشاه شاه الذكور والاناث ، وليست العقيقة بحاجبة ،ولكنها مستحبه العمل بها ، وهي من الامر الذي لم يزل عليه الناس عندنا من عق ولده فانما هي بمنزلة التمسك والضحايا ، لايجوز فيها عوراء ولاعجفاء ولا مكسورة ولا مريضه ، ولا يباع من لحمها شيء ، ولاجلدها ويأكل اهل من لحمها و يتصدقون منها ولا يمس الصبي شيء من دمها » .

---

(١) ارجع الى بحث د . عبد الله المحسن صالح - الوالدات يضعن اولادهن ص٧٣ .

واحتج القائلون بالاستحباب بلو كانت ولجبه لكان وجوبها معلوما من الدين ، لأن ذلك بما تدعو الحاجة اليه ، وتعم به البلوى فكان رسول الله ﷺ يبين وجوبها للامة بياناً كافياً تقوم به الحجة ، وينقطع معه العذر ، قالوا ،قد علقها بمحبة فاعلها .

والعقيقة افضل من التصدق بثمنها ولو زاد عليها ، لأن في اجتماع الناس حولها اشعار ، بإقامة شعيرة من شعائر الاسلام ، وفيها اعلان عن السنه وسكينة مشروعة ، بسبب تجدد نعمة الله على الوالدين ، وفيها احياء لفداء اسماعيل عليه السلام ، الذي فداه ابراهيم عليه السلام بكبش سمين فصار سنه تسن في اولاده الى يوم الدين .

«ويستحب طيخها وإطعامها للفقراء والمساكين ، بنيه زيادة شكر نعمة المنعم ، ويطعمه أهله» .

والله لا يشق على المعسرين في العقيقة ، فمن لم يقدر على أن يعق بكبش او شاه عق بأقل من ذلك على ان يرق دماً .

وروى الامام مالك انه قال سمعت انه يستحب العقيقة ولو بعصفور مبالغة في التيسير على الفقراء ، واحياء للشعيرة .

عن النبي قال : كل غلام رهين بعقيقه حتى يذبح عنه في اليوم السابع ويحلق ، ويسمى ويزن شعر الصبي ويتصدق بوزنه فضه .

فقد وزنت فاطمة شعر حسن وحسين فتصدقت بوزن شعرهما فضه .

د- حق الاطفال في الحرية الواعية

كفل الإسلام حرية الاطفال ، وكفالة الاسلام هذه قائمة على احترامه للبشرية كلها ، وتقديره للمعاني الانسانية ،وعلنا نذكر قصة عمرو بن العاص وهو وال على مصر الذي ضرب ابنه احد المصريين لانه سبقه ، فشكا المصري امره لعمر بن الخطاب ، فاحضر المصري عمرو بن العاص وابنه ، وناول المصري الدرة ، وقال له اضرب ابن الاكرمين كما ضربك ، ثم قال لعمرو بن العاص «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احراراً . لقد كفل الاسلام الحريات التالية :

*حرية الاطفال وفق الشريعة الاسلامية ، إذ أن حرية الانسان هي الاصل .

*حرية الفكر التي تسعى نحو الاهتداء الى الايمان الراسخ بعد اطالة النظر في الكون الزاخر ، والوقوف على عظمة الخالق سبحانه وتعالى ، وادراك عظيم صنعه ومحكم تدبيره .

*الحرية العلمية ، فقد اباح الاسلام لكل طفل العلم لقوله تعالى﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات**﴾ المجادلة ١١ ، لقد حرر الاسلام العقول والافئدة من التفكير السقيم ، وقرر أن الدين والعقل توأمان لا غنى لأحدهما عن الأخر .

*الحرية الدينية ، لقد سلك الاسلام سبيلاً فريداً لايقاظ مشاعر الاعتقاد الكامنة في النفس ، واتخذ الحوار منهجاً واسلوباً في الدعوة الى الايمان والإسلام .

*الحرية السياسية اعتماداً على الشورى . لقد منح الاسلام حرية القول والعمل والسكن والتنقل ، ولكن هذه الحرية يجب ان لا تتعارض مع مصلحة الجماعة الاسلامية ، أي أن الحرية التي كفلها الإسلام حرية واعية هدفها بناء مجتمع مسلم يعتمد على العقيدة الاسلامية السليمة ، الذي يعزز القيم الاسلامية التي تنطلق من الكتاب والسنة .

هـ- حق الاطفال في أن يسموا بالاسماء الحسنة المحببة

من العادات الاجتماعية المتبعة ان يختار الابوان للمولود اسماً حين يولد ، ولقد اعتنى الاسلام بهذه الظاهرة ، ووضع من الاحكام ما يشعر بأهميتها والاعتناء بها ، ومما يجب الاهتمام به عند تسمية المولود ، ان ينتقى للطفل من الاسماء أحسنها واجملها تنفيذاً لما ارشد اليه وحض عليه وامر به نبينا عليه الصلاة والسلام . قال رسول الله ﷺ «انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم واسماء آبائكم فأحسنوا اسماءكم» . وقال عليه السلام «ان احب اسمائكم الى الله عزوجل عبدالله وعبد الرحمن » .

كما ان على المربي ان يجنب الطفل الاسم القبيح الذي يمس كرامته ويكون مدعاة للاستهزاء به والسخرية عليه فهذا رسول الله عليه الصلاة والسلام كما روى الترمذي عن عائشة «كان يغير الاسم القبيح» .

وعلى المربى آيضاً ان يجنبه الاسماء التي لها اشتقاق من كلمات فيها تشاؤم حتى يسلم الطفل من مصيبة هذه التسمية وشؤمها .

روى البخاري عن أبي برده عن ابي موسى رضي الله عنه قال : ولد لي غلام ، فأتيت النبي ﷺ فسماه ابراهيم فحنكه بتمره ، ودعا له بالبركة ، ودفعه الي ، وكان أكبر ولد أبي موسى » (١) .

وروى ايضاً عن عروه عن ابيه عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما : انها حملت بعبدالله بن الزبير بمكة المكرمة فقالت ،خرجت وانا متم فأتيت المدينة المنورة فنزلت قباء ، فولدت بقباء ثم اتيت به رسول الله ﷺ فوضعته ثم دعا بتمرة ثم تفل في فيه ، فكان أول شن دخل جوفه ريق رسول الله ثم حنكه بالتمرة ودعا له فبرك عليه ، وكان اول مولود في الاسلام من ابناء المهاجرين في المدينة» .

وروى البخاري عن انس بن مالك رضي الله عنه قال : كان ابن لأبي طلحه يشتكي فخرج ابو طلحه قال : ما فعل ابني ، قالت ام سليمه : هو اسكن ما كان ، فقربت اليه العشاء فتعشى ثم اصاب منها فلما فرع قالت : وار الصبي ، فلما اصبح ابو طلحه اتى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : اعرستم الليله قال : نعم ، قال : اللهم بارك لهما في ليلتهما فولدت غلاماً ، قال ابو طلحه احفظه حتى تأتي به النبي ﷺ فأتى به النبي ﷺ وارسلت معه بتمرات فأخذه النبي ﷺ فقال : أمعه شيء؟ قالوا : نعم تمرات فأخذها النبي ﷺ فمضغها ثم أخذ من فيه فجعلها في في الصبي وحنكه وسماه عبد الله (٢) .

(١) رواه البخاري في باب تسمية المولود غداة يولد لمن يعق ٨٣/٩ ع

(٢)رواه مسلم في باب الاستحباب المولود عند ولادته ١٣٢/١٤ .

وفي هذه الاحاديث بيان حق الطفل في الرعاية والعناية به من أول يوم وتسميته بأحسن الاسماء ، لأن الاسم يترك اثراً في المسمى إن حسناً أو سيئاً لا يمحى . وقد يؤثر في سلوكه بين اقرانه .فالرسول ﷺ دعا بالبركة للمولود وسماه احسن الاسماء . ولما كان التأسي بالنبي واجباً ديناً . وجب على كل مسلم أن يحسن اسم ابنه ويدعو الله ان يبارك المولود ليكون نشأ خير .

وقد بين الرسول ان خير الاسماء واحسنها عبد الله ، وقد ثبت انه عليه السلام قال ان احب اسمائكم الى الله عبدالله ،وعبدالرحمن وكذلك أن يسمى المولود محمداً على الا يكنى بكنيته .

عن جابر بن عبدالله قال : ولد لرجل منا غلام فاسماه محمداً فقال قومي : لا ندعك تسمى باسم رسول الله فقال ﷺ : تسموا بإسمي ولا تكنوا بكنيتي فإنما انا قاسم اقسم بينكم» .

وبين لهم رسول الله الاسماء المكروهه وندب لهم تغيير الاسماء القبيحة .عن ابن عمر رضي الله عنهما أن ابنة لعمر كانت يقال لها عاصيه ، فاسماها الرسول عليه السلام جميلة .

وفي سنن أبي داود من حديث سعيد بن المسيب عن أبنه عن جده ان النبي ﷺ قال له ما اسمك ؟ قال : حزن ، قال :انت سهل . .قال سعيد : فظنت أنه سيصيبنا بعده حزونه .

قال ابن القيم : إن سعيد بن المسيب قال : مازالت فينا تلك الحزونه «الغلطة» وهي التي حصلت من تسمية الأب بحزن ، قال أبو داود : وغير النبي اسم العاص وعزيز وعليه وشيطان والحكم ، وغراب وحباب وشهاب فسماه هشاماً ، وسمى حرباً سلما ، والمضطجع سماه المنبعث ، وأرضاً تسمى عفره خضره ، وشعب الضلاله ،فسماه شعب الهدى ، وبنو الزينه سماهم بني الرشده ، وسمى بن مغويه بنى رشده « لما يكون بين الاسم والمسمى من صلة ويعجب ابن القيم لتطابق معنى الاسم على صفات صاحبه وطباعه ، واعتقد أن الله قد الهم النفوس «أن تصنع

الاسماء على حسب مسمياتها لتناسب حكمته تعالى بين اللفظ ومعناه ، كما تناسب بين الاسباب ومسبباتها » .

ولكن الاسماء هي طبعت اصحابها بها ، فأثرت فيهم حتى طابقت الاسماء معانيها ولزمت اصحابها ، وكما مر اثر اسم حزن في صاحبه ، فكان فيه غلطه ، لأنه اعتبرها مكرمة في اسمه ، لاعتقاده بصفته ، ثم ترك اثره في ذريته كما اقر بهذه سعيد بن المسيب حفيده ، رحمه الله .

ولهذا نهى رسول الله ﷺ من التسمية بالأسماء القبيحة لأب الاسم القبيح يؤثر في صاحبه ، ويؤثر الاسم الحسن في صاحبه تأثيراً حسناً .

روى مالك عن يحيى بن سعيد ان رسول الله ﷺ قال للقمة تحلب من يحلب هذه فقال رجل ، فقال رسول الله ﷺ ما إسمك فقال له الرجل : مره . فقال عليه السلام جلس . ثم قال من يجلس هذه .فقال له رسول الله : اجلس .

وقد علق ابن القيم على هذه الرواية فقال : وعندي أن بين الاسم والمسمى علاقة ورابطة تناسبه ،وقل ما يختلف ذلك فالالفاظ قوالب المعاني والاسماء قوالب المسميات .

يقول الشاعر :

وقل أن ابصرت عيناك ذا لقب إلا معناه إن فكرت في اللقب

فتصبح الاسم عنوان قبح المسمى كما ان قبح الوجه عنوان قبح الباطن

وعلى المربي ان يجنبه الاسماء المختصة باللّه فلا يجوز التسمية بالأحد أو الصمد ولا بالخالق والا بالرزاق .

كما أن عليه ان يجنبه الاسماء التي فيها يُمن وتفاؤل حتى لايحصل كدر عند مناداتهم وهم غائبون بلفظ لا . كالتسمية بأفاح ، نافع ، رباح ، يسار .

وأيضاً على المربى ان يجنبه الاسماء التي بها تميع وتشبه كإسم هيام وهيفاء ، نهاد ، وسوسن ، ومياده وغادة واحلام .

ولقد روى ابو داوود والنسائي عن ابي وهب الجشمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «سموا بأسماء الانبياء ، واحب الاسماء الى الله عبدالله وعبدا لرحمن : واصدقها حارث وهمام واقبحها حرب ومرة» .

ولاعجب ان يحض الرسول عليه الصلاة والسلام أمة الإسلام في أن يتسموا بأسماء الانبياء ،حتى تتميز الامة المحمدية على غيرها من الامم بكل مظاهر حياتها .

و- حق الأطفال في الرعاية التامة (مأكل وملبس ونفقه)

قال تعالى ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ (١)

وقوله عليه الصلاة والسلام من الحديث الذي رواه مسلم «دينار في سبيل الله ، ودينار انفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ودينار انفقته على اهلك . اعظمها آجراً الذي انفقته على أهلك» .

واذا كان للأب الاجر والمثوبة في التوسعة على الاهل والانفاق على العيال ، فإنه عليه بالتالي الوزر والاثم اذا امسك عن الانفاق على الأهل والاولاد وهو مستطيع من مأكل أو مشرب ، قال عليه الصلاة والسلام «كفى بالمرء إثماً ان يضيع من يقوت» وفي رواية لمسلم «كفى بالمرء إثماً ان يحبس عمن يملك قوته» . ومن النفقه على العيال تهيئة الرجل لأهله وعياله الغذاء الصالح والمسكن الصالح والكساء الصالح حتى لا تتعرض اجسامهم للاسقام ، وتنهك ابدانهم الاوبئة والامراض .
وإذا لم يستطع الأهل الانفاق على اولادهم فلهم الحق في الاعاشة من بيت مال المسلمين من مأكل ومشرب وعلم .

أما بالنسبة إلى الملبس ، فقد أوجب الإسلام كسوة الطفل ذكراً كان أم انثى ، وستر جسمه ، وقد قال بعض الفقهاء أنه لا عورة للطفل دون الرابعة ، فإذا زاد على أربع فعورته القبل والدبر وما حولهما . . .حتى إذا بلغ اشده صارت عورته كعورة البالغ ، وكلما عودناه الستر وهو صغير كان افضل .

(١) البقرة : آية ٢٢٣ .

ع- حق اعاشة الاطفال من بيت المال

حرص الإسلام على رعاية الاطفال الذين لا أولياء لهم ، فقد أوصى القرآن الكريم برعاية اليتيم فقال تعالى ﴿وأما اليتيم فلا تقهر﴾ سورة آية ، واوصى عليه السلام بكفالة اليتيم ، فقال آنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ،واشار باصبعيه بأنهما متجاوران في الجنة .

وكان العرب يتبنون الأولاد وينسبونهم اليهم ، ولكن الإسلام حرم ذلك ،حتى ولو كانوا لقطاء ، ولا يعني ذلك اهمالهم بل اوجب الإسلام رعاية اللقطاء ، ولكن ليس بالتبني .

وإذا لم يكن لليتيم من يكفله ، او اللقيط مال ، فقد أوجب الإسلام على القاضي أن يأمر بيت مال المسلمين بالإنفاق عليهم عند الحاجة ، لأن بيت مال المسلمين عليه أن ينفق على كل من ليس له ولي ينفق عليه (١) .

ويجوز للقاضي أن يعهد إلى رجل صالح يقوم على رعاية من لا ولي له بدلا من ضمه الى الملاجئ ، حتى يعيش في جو اسري سليم ، مطمئن النفس ، لأن الإسرة قد تكون قادرة على توجيه الاطفال توجيهاً سليماً ، وحمايتهم ، والعطف عليهم ، ومعاملتهم كأبناء ، لأن عطف ورحمة الأسرة هي التي تربي نفس الطفل ، وتغذي روحه وفؤاده .

س- حق الأطفال في العدل والمساواة في المعاملة:

يعتبر الإسلام المساواة في معاملة الأطفال ذكوراً واناثاً من الأمور الهامة التي تبنى عليها الأسرة اسلوب تنشئة ابنائها ، فقد روى الطبراني عن النبي ﷺ «سووا بين اولادكم ....» وهذا ينفي عن الاسرة تفضيل الذكور عن الإناث أو تفضيل الأبن الأكبر عن سائر أخوته أو تفضيل ابن على اخر بسبب تعدد الزوجات أو لأي سبب أخر . قال تعالى ﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ (٢) ، فالاسلام لم يفرق في المعاملة الرحيمة والعطف الأبوي بين رجل وامرأة وذكر وانثى .

(١) محمد ابو زهرة ، تنظيم الاسلام للمجتمع ، ص١٣٦ .
(٢) المائدة : آية ٨ .

وإذا وجد في المجتمع الإسلامي اباء ينظرون الى البنت نظرة تمييز عن الولد . فالسبب يعود إلى البيئة الفاسدة التي رضعوا منها أعرافاً ما أنزل الله بها من سلطان تتصل بالجاهلية قال اللّه تعالى﴿ **وإذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، ايمسكه على هون أم يدسه في التراب ، ألا ساء ما يحكمون** ﴾ (1) وهذا أيضا يعود إلى ضعف الإيمان ، لكونهم لم يرضوا بما قسمه الله لهم من اناث .

الاسلام بدعوته الى المساواة المطلقة والعدل الشامل لم يفرق في المعاملة الرحيمة والعطف الأبوي بين رجل وامرأة وذكر وانثى ، تحقيقاً لقوله تبارك وتعالى ﴿ **اعدلوا هو أقرب للتقوى**﴾ .

وتنفيذاً لأمر رسول الله ﷺ القائل في الحديث الذي رواه اصحاب السنن ، والامام أحمد وابن حيان عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما «اعدلوا بين ابنائكم ، اعدلوا بين ابنائكم ، اعدلوا بين ابنائكم» فانطلاقاً من هذا الأمر القرآني والتوجيه النبوي ، حقق الآباء في أولادهم عبر العصور والتاريخ مبدأ العدل والمساواة في المحبة والمعاملة والنظرة الحانية والملاطفة الرحيمة ، دون ان يكون بين الذكو ر والاناث اي تمييز أو تفريق وإذا وجد في المجتمع الإسلامي اباء ينظرون الى البنت نظرة تمييز عن الولد فالسبب في هذا يعود الى البيئة الفاسدة التي رضعوا منها أعرافاً ما أنزل الله بها من سلطان ، بل هي اعراف جاهلية محضة وتقاليد اجتماعية بغيضة ، يتصل عهدها بالعصر الجاهلي الذي قال الله تعالى فيه ﴿**وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم**﴾ .

ولكي يقتلع رسول الله من بعض النفوس الضعيفة جذور الجاهلية خص البنات بالذكر ، وأمر الآباء والمربين بحسن صحبتهن والعناية بهن والقيام على أمورهن ليستأهلوا دخول الجنة ورضوان الله عزوجل ، وبالتالي حتى تكون تربية البنات وتحقيق الخير لهن . فقيل من كانت له ثلاث بنات وأحسن تربيتهن دخل الجنة .

---

(1) النحل : آية ٥٩ .

التمييز وعدم التسوية بين الأولاد في المعاملة :

من الظواهر السلبية التي تشيع في أوساط بعض الأسر الإسلامية ظاهرة عدم العدل بين الأبناء ولهذه الظاهرة صور منها :

١-التمييز بين الذكور والإناث في الحب والمعاملة :

فلقد تسربت الى بعض النفوس بعد أن خبا فيها نور الإيمان اعراف الجاهلية منها : عادة التمييز بين الذكر والأنثى ، سواء من حيث استقبال مولودهما ، حيث يستقبل ميلاد الذكر بالغبطة والحبور ، في حين يتلقى نبأ ولادة البنت بالخوف والامتعاض ، وكأن مصيبة قد حلت بساحته .

أومن حيث المعاملة والعطية . فينال الولد المحبة والرفق ، ويحظى بكل ما يطلب ، في حين تعامل البنت بقسوة وازدراء ، ويهمل امرها في الهدية والعطية والطعام واللباس ، إن روح الشريعة السمحاء والتي جاءت لترسي قواعد العدل ولتجعل منه اساساً راسخاً للتعامل بشتى صوره ومجالاته لا الجور و الظلم في المعاملة للأبناء ، ولقد عاب الحق سبحانه وتعالى على أهل الجاهلية شعورهم بالألم والخزي ازاء مولد الأنثى فقال تعالى **﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾** .

ولكي يجتث الإسلام هذه الروح من مجتمع المسلمين جاءت الأحاديث النبوية الكثيرة ، بالحق على إكرام البنت وحسن صحبتها ، وعدم بغضها والتهوين في شأنها ، يقول عليه السلام «لا تكرهوا البنات فانهن المؤنسات الغاليات» ويقول أيضاً «من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن وسقاهن وكساهن من جدته (ماله) كن له حجاباً من النار» .

ومن الجدير بالذكر والتنبيه إليه عادة قبيحة استحكمت في بعض الأوساط ، وتتمثل في حرمان الأنثى من الميراث حيث يُقدم الأب على توزيع تركته على

الذكور من ابنائه قبل وفاته ، ويحرم الاناث أو يعمد الذكور من الورثة إلى حمل الإناث على التنازل عن نصيبهم من الميراث بين الحياء والخجل ، وتحت ضغط التهديد بالقطيعة والهجر أن لم يفعلن ذلك ، ألا فليعلم الجميع أن هذا الفعل يمثل اعتداء صارخاً على شريعة الله العادلة في توريث الأنثى ، وتعد لحدود الله تعود على صاحبه خسراناً في الدنيا والآخرة .

٢-التمييز بين الذكور من الابناء في المعاملة والعطية :

يعمد بعض الآباء والامهات الى عدم التسوية بين ابنائهم ، سواء في مشاعر الود والمحبة أو في المعاملة والعطاء المالي ، مدفوعين الى ذلك بعوامل منها وسامة بعض هؤلاء الابناء أو سلامة صحتهم ، في حين يكون بعضهم الآخر كسولاً أو دميم الخلقة او مصاباً بعاهة خلقية . وبهذا جاءت التوجيهات الاسلامية الكريمة بالدعوة الى التسوية بين الابناء ، يقول عليه السلام «اتقوا الله واعدلوا بين اولادكم » ويقول «ساووا بين اولادكم في العطية» .

لقد قرر الاسلام المساواة الكاملة في الانسانية بين الذكر والانثى . قال تعالى﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيباً**﴾ سورة النساء آية ١ . وقال تعالى ﴿**وهو الذي خلق من الماء بشرا ، فجعله نسباً وصهراً ، وكان ربك قديراً**﴾ سورة الفرقان ،آية ٥٤ .

وأكد الاسلام على المساواة في الخلقة بين الرجل والمرأة ، فنفس الرجل والمرأة سواء ، يسمو بها ايمان وخلق ، قال تعالى﴿ **ونفس وما سواها ، فالهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها ، وقد خاب من دساها** ﴾ سورة الشمس ، اية ٧-١٠ ، وبعض الفروق الجسمية بين الذكر والانثى لا تؤثر على النفس الواحدة .

وساوى الاسلام بين الذكر والانثى في الكرامة الانسانية والتربية والتهذيب ، وفي الاخلاق من طهارة القلب والقصد والجوارح والميراث .

ص- حق الاطفال في التأديب والتعليم:

يعد التعليم من أهم حقوق الطفل في الاسلام ، فقد فرضت طبيعة الدين الاسلامي الذي يقوم على اتقان العبادة ، وتأديبها بوعي وادراك ، والمقصود بالعبادة جميع الاعمال الحياتية الخاصة والعامة التي يقوم بها المرء في حياته في طاعة الله ، فالصلاة عبادة ، واتقان العمل عبادة ، إلا أن المعنى الفقهي للعبادة يرتبط بتأدية الفرائض ، ومن أهمها إقامة الصلاة وسننها من قراءات تتطلب المعرفة بالتلاوة وغيرها ، فالتعليم يكون الأساس لتمكين الطفل من آقامة الصلاة قال عليه السلام«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين» فالتعليم حق للطفل من حيث تمكينه من ذلك ، كما آنه حق لتمكينه من تنمية قدراته واستعداداته للتكيف مع ذاته ومع مجتمعه .

ولقد أولى المفكرون المسلمون هذا الجانب اهتماماً كبيراً وتعمقوا فيه ، ووضعوا له نظريات وأهداف وطرق ووسائل تفوق تجارب المجتمعات الأخرى التي تعتبر معيناً للتربية لا ينضب . و أن معظم مبادئ هذه التربية وأهدافها منسجمة مع الهدف النهائي للرسالة الإسلامية في فكرة وهدايته وتوجيهه من أجل حياة كريمة .

ولم يحدد الإسلام سن للتعليم يبدأ عندها تعليم الطفل ، فقد ترك ذلك لظروف المجتمعات الإسلامية ، إلا أن معظم المربين المسلمين رأى ضرورة التبكير بطلب العلم .

ولقد رأى القابسي الزامية نشر الدين وتعاليمه ، فهو يرى ارغام الآب على تعليم ابنه .

ومن القواعد التي وضعها الإسلام في تربية الولد اجتماعياً ، تعويده منذ نعومة اظفاره على آداب اجتماعية عامة ، وتخلقه على مبادئ تربوية هامة ، حتى إذا شب الطفل عن الطوق ودرج في سني الطفولة ، واصبح يدرك حقائق الاشياء ، كان تعامله في غاية البر والإحسان ، وكان سلوكه في المجتمع في منتهى المحبة والملاطفة . ومن هذه الآداب (*) .

---

(١) انظر كتاب عبد الله :تربية الاولاد في الاسلام : الجزء الثاني .

١- آداب الطعام والشراب .

٢- آداب السلام .

٣- اداب الاستئذان .

٤- آداب المجلس .

٥- آدب المزاح .

٦- آدب التهنئة .

٧- ادب عيادة المريض .

٨- ادب التعزية .

٩- ادب العطاس والتثاؤب .

وهنا نشير إلى أن هذه الآداب الاجتماعية لم يعتن بها دين أو عقيدة أو مجتمع كالاسلام والمسلمين ، هذه الآداب بمجلمها تدل على أن الإسلام دين اجتماعي ، جاء لاصلاح المجتمعات الإنسانية لا دينا فردياً ولا تشريعاً كهنوتياً ، كما أنه ليس حبراً على ورق أو كتاباً على الرف ، قا ل تعالى ﴿**هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين**﴾ (١) .

أن تأديب الأطفال ضرورة ، إذ يجب أن تقوى إرادة الطفل لا هواه ، وتقوية الإرادة بتنبهه بقوة الى ماهو صالح ولو بشيء من الحزم من غير عنف ، قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه «إن للقلوب شهوات واقبالاً وادباراً ، فأتوها من قبل اقبالها ، فإن القلب اذا كره عمى » .

---

(١) لقمان : آية ١١ .

الوحدة الخامسة

مؤسسات تعليم وتأديب الأطفال في الاسلام

أ- التعليم الأولي في الكتاتيب :

- السن التي يلتحق بها الاطفال في الكتاتيب .
- المدة التي يقضيها الاطفال في الكتاتيب .
- مواد التعليم في الكتاتيب «الحذفة او الختمة» .
- اساليب المدرس في الكتاتيب .

ب- تعليم الاطفال في المسجد بعد التعليم الأولي في الكتاتيب :

- مواد التعليم في المساجد .
- اساليب التعليم في المساجد

جـ- التعليم في المدارس النظامية .

- مواد التعليم في المدارس .
- اساليب التعليم في المدارس .

د- التأديب في القصور والبيوت الخاصة .

- تأديب الأمراء وولاة العهد من ابناء الخلفاء ، تأديب الاناث في البيوت .

مؤسسات التعليم في الإسلام

حث الإسلام على تعليم الأطفال ، بل أنه شجع الإنسان على أن يستمر في طلب العلم ، لقوله عليه الصلاة والسلام «اطلب العلم من المهد إلى اللحد» ولا غرابة في ذلك ، فقد كانت أول آية نزلت في القرآن على الرسول ﷺ (اقرأ باسم ربك الذي خلق . . .الخ﴾سورة العلق ،آية١ .

لقد أولى المسلمون التعليم كل عنايتهم ، وليس ادل على ذلك من طلب الرسول ﷺ من اسرى بدر تعليم بعض المسلمين مقابل فك اسرهم ، لذلك انتشرت مؤسسات التعليم عبر العصور الاسلامية ، فشملت :

* الكتاب
* المسجد
* المدارس
* الربط
* الزوايا
* الخوانق

كما كان التعليم يتم في القصور والمنازل . وفي الساحات العامة ، وقد مر الرسول ﷺ على جماعتين ، احداهما تدعو الله فإن شاء اعطاهم وأن شاء منعهم ، ثم اتجه الى الجماعة الثانية للمشاركة في دراسة القرآن ، قائلاً ، إنما بعثت رسولاً ومعلماً .

أ- التعليم الأولى في الكتاتيب

كانت الكتاتيب قبل الإسلام تعلّم القراءة والكتابة ، وبعد الإسلام زيد عليها تحفيظ الأطفال القرآن وتعليم الدين الإسلامي والخط والحساب ومبادئ اللغة ، فالكُتّاب أو المكتب هو المعهد الأول الذي كان يتم التعليم فيه .

وكانت غاية المسلمين بتعليم الخط كبيرة لأنه فن من الفنون الجميلة ، وكان له معلم يختص بتعليمه لا يشتغل بغيره ، وقد استخدم الرسول ﷺ المسلمين الذين يستطيعون الكتابة والقراءة في كتابة ما كان يمليه عليهم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وكان عددهم قليلاً ، فاضطر الرسول أن يستعين بغير المسلمين من اليهود والمسيحيين في تعليم المسلمين ، الراغبين في التعليم والقراءة والكتابة .

كان اللوح يستعمل في الكتاب منذ زمن قديم ، فقد قالت أم الدرداء أنها قد كتبت على اللوح عبارات في الحكمة ليحاكيها تلميذ كانت تعلمه القراءة والكتابة .

وبعد معرفة القراءة والكتابة كان التلاميذ يقرأون القرآن الكريم ، ويكتبون كل يوم قدراً منه في الواحهم ، ويحفظون ما يكتبون ، بهذه الوسيلة كانوا يدربون على القراءة ويتعلمونها ، ويحفظون القرآن ويحسنون خطهم ، فقد كان الأطفال في الكتاب يتعلمون المطالعة والقراءة والكتابة وكانوا يحفظون بعض الأحاديث ويدرسون قصص الأنبياء ويتعلمون قواعد اللغة العربية ومبادئ الحساب .

وفي عصر الترجمة قام المثقفون الذين يجيدون بعض اللغات الاجنبية بترجمة بعض الكتب الثمينة الى اللغة العربية .

وللجاحظ أثر كبير في النهوض بتعليم القراءة والكتابة والحساب والأقبال عليها ، وقد قال في رسالة المعلمين «ولولا الكتابة لاختلت أخبار الماضين ، وانقطعت آثار الغائبين ، وقد رأينا عمود صلاح الدين والدنيا انما يعتدل في نصابه يقوم على اساسه بالكتابة والحساب ، في الوقت الذي كان المعلم يخصص حجرة من منزله يجعلها كُتّاباً لتعليم الأطفال الراغبين في التعليم ، كان في كتّاب أبي القاسم «٣» الآف طالب أو تلميذ ، ومعنى هذا أن الكتاب في الغالب كان حجرة واحدة أو أكثر في النادر ، وكان بعضها كبيراً فسيحاً جداً يتسع لالآف التلاميذ ، وقد ازداد عدد الكتاتيب ، وعدد المعلمين في القرن الثاني الهجري ، والقرون التي بعده حتى صار في كل قرية كتاب أو اكثر .

وقال الإمام الشافعي رضي الله عنه «كنت يتيماً في حجر أبي فدفعني في الكتاب ، فلما ختمت القرآن دخلت المسجد لطلب العلم والتوسع في الثقافة الدينية» .

فالكتّاب كان المكان الأول لتعليم الأطفال القرآن ، وكان للكتاب منزلة كبيرة لأن تحفيظ القرآن فيه كان أمراً هاماً في الإسلام ، وقد ورد في بعض المراجع العربية أن الحجاج بن يوسف المعروف كان معلماً بأحد الكتاتيب ، يأخذ الخبز من الأطفال اجراً له ، وقد اسهم كثير من المسلمين في انشاء الكتاتيب لتعليم الأطفال ، وتنافسوا في بنائها للتقرب الى الله ، ونشر التعليم بين الأغنياء والفقراء ، وكانت الكتاتيب تلحق بالمساجد حيناً وتبعد عنه أحياناً ، وكان المعلمون من المسلمين ينظرون إلى الأطفال نظرة واحدة من غير تفرقة بين الغني والفقير ، في المساواة وفي المعاملة والتعليم .

وكانت التربية في الإسلام تربية ديمقراطية لا تعرف التفرقة ولا تعرف نظام الطبقات ، ولم يكن لدى المسلمين مدارس خاصة بالأغنياء والإشراف ، فكان يتعلم فقيرهم مع غنيهم في مكتب واحد أو مدرسة واحدة وفصل واحد من غير تمييز لهذا على ذاك ، فمبدأ المساواة والعدالة وتكافؤ الفرص كان مراعى لدى الجميع ، فالتعليم في الإسلام لم تستأثر به طبقة لأنها غنية ، ولم تحرم منه طبقة فقيرة .

وفي الإسلام لم يكتف بتعليم الأطفال بالمجان ، فقد كان الطعام والكساء يقدمان لهم في بعض الكتاتيب ، وفي بعض العصور الإسلامية كان بعض المعلمون يهتمون بالتعليم بدون أجر ابتغاء مرضاة الله ، وبعضهم يقبلون آجراً زهيداً حتى يحصلوا على الضروريات في الحياة .

❖ كيف كان يجري التعليم في الكتاتيب

كان الطفل يرسل إلى الكتاب الذي كان يكون في الغالب الى جانب المسجد

وقد يكون بعيداً عنه ، ونادراً ما يكون فيه لعدم تحرز الأطفال عن الوساخة والضوضاء ، وكان يشرف على الكتاب معلم قارئ حافظ مثقف ، يتخذ التعليم حرفة ومكتسباً ، وقد يشترك أكثر من معلم واحد في كتّاب واحد إذا كان عدد الأطفال كثيراً ، ولم تكن للحكومة أية رقابة على هذه الكتاتيب إلا حينما وجدت وظيفة المحتسب . وكان الآباء ينتقون لابنائهم الكتاتيب ، ويتفقون مع معلميهم على الأجر ، ويشارطونهم على مقدارها اسبوعاً أو مشاهرة ، كما يشارطونهم على ما يجب أن يتعلمه ابناؤهم ، ولم يكن الكتاب في الغالب دار متعددة الغرف ، كما هو الحال اليوم في دور الحضانة أوحدائق الأطفال أو المدارس الابتدائية أو الأولية ، وإنما هي غرفة واسعة أو ضيقة ، وغرفتان على الأكثر متواضعة الفرش والأثاث تتسع لعدد من الأطفال ، يشرف عليهم المعلم والنقيب .

وكان من العادة أن يذهب الطفل إلى الكتاب مبكراً فيبدأ يومه بحفظ جزء من القرآن الكريم ، وبعد أن يحفظه يبدأ بالنسخ والكتابة والتمرن على تجويد الحفظ الى وقت الظهر ، ثم يعود إلى بيته للغداء ، أو يتغدى في الكتّاب ، ثم يبدأ عمله ثانية بعد صلاة الظهر حتى فترة العصر ، يقرأ ويكتب الى حين الإنصراف إلى أهله بعد العصر .

وكان الأطفال يعتبرون نصف يوم الخميس وطول يوم الجمعة عطلة للاستراحة [١] بالاضافة إلى أيام عيد الفطر الثلاثة ، وأيام عيد الأضحى الخمسة ، وبعض عطل أيام المناسبات كيوم ختم أحدهم القرآن أو طهوره أو ما أشبه هذا .

وكانت مدة بقاء الطفل في الكتاب بين خمسة أعوام إلى ستة ، ويبدأ من سن الخامسة أو السادسة من عمره إلى سن العاشرة أو الحادية عشرة ، يحفظ الطفل خلالها القرآن الكريم كله أوبعضه عن ظهر قلب ، رواية واتقانا ، ويتقن فني الكتابة والخط ، ويلم بمبادئ العربية ومبادئ الحساب الأولية .

كان في الكتاب عقوبات يتلقاها الطفل المخطئ أو المهمل أو الكسول ، وأول تلك العقوبات التوبيخ وحده ثم إمام زملائه ، ثم التهديد العلني ثم الضرب باليد أو العصا .

---

(١)د . احمد فؤاد الاهواني ، التربية في الاسلام ، ص١٥٣ .

وإذا اتم الطفل مدة الدراسة في الكتُّاب وحفظ القرآن أو رواه ، إمتحنه المعلم لمعرفة ذلك أو التأكد منه ، فإذا أجتاز الإمتحان احتفل بالختمة ، ثم يدخل معركة الحياة العملية ، ويبدأ الدراسة الثانوية فالعالية إذا ما اراد ذلك .

ومن أشهر معلمي الكتاتيب الضحاك بن مزاحم ١٠٥ هجري ، والكميت ابن زيد ١٢٦هـ . وعبد الحميد الكاتب ١٣٢هـ .

لقد كان الكتّاب يشبه المدرسة الابتدائية في عصرنا الحالي الى حد كبير ، وكان من الكثرة بحيث عد ابن حوقل ٣٠٠ كُتّاب في مدينة واحدة من مدن صقلية . وكان بعضها من الإتساع أحياناً بحيث يضم الكتّاب الواحد مئات والآف الطلاب ، وقد ذكرنا أن كتاب ابي القاسم البلخى كان يتعلم به ٣٠٠٠ تلميذا ، وكان كتابه فسيحاً بحيث يحتاج إلى أن يركب حماراً ليتردد بين طلاب ، وليشرف على شؤنهم (١) .

لقد كان بيت الأرقم ابن أبي الأرقم أول مؤسسة تربوية ، وبعد الهجرة لم تعد دار الأرقم وغيرها تتسع لإعداد المسلمين ، وإنما أصبح المسجد هو المؤسسة التربوية في الإسلام ، ولم تظهر المؤسسة التربوية الثالثة إلا بعد فترة طويلة من الحكم الأموي إلا وهي المدرسة .

وكان الشخص الذي كان يقوم بالتدريس في هذه الكتاتيب شخص يدعى معلم الصبيان «المؤدب» ويشترط في المؤدب .

١- أن يكون أميناً على أطفال المسلمين .

٢- حسن الخلق .

٣- أن يكون متزوجاً وأن يهتم بأولاد المسلمين كأولاده .

٤- أن تكون معاملته حسنة دون تفريق بين غني وفقير .

(١) د . مصطفى السباعي ، من روائع حضاراتنا ، ص١١٥ .

❖ السن التي يلتحق بها الطفل في الكتاتيب:

لم تكن هناك سن محددة لطلب العلم ، إذ كان من واجب كل مسلم أن يطلب العلم في أي فترة من فترات عمره [1] وفقاً لقوله ﷺ «اطلب العلم من المهد إلى اللحد» .

وكان على كل فرد أن يقرأ القرآن لأداء الشعائر الدينية لذلك كان الآباء يعلمون ابناءهم قبل تراكم الأشغال [2] لذا تنافس الأطفال في الجلوس المبكر أمام المدرسين للاستماع ، ومع أنه لم تكن هناك سن ثابتة لإرسال الأطفال إلى الكتاب ، إلا أن معظم المربين دعوا الى التحاق الأطفال في سن مبكرة ،وليس أدل على ذلك من أن الشافعي حفظ القرآن وهو ابن سبع [3] ، وأن تاج الدين الكندي اكمل القراءات العشر وهو في العاشرة .

يروى الزرنوجي «أنه ليس لصحيح البدن والعقل عذر في ترك طلب العلم مهما كان عمره ، وقال أنه على المعلم أن يشخص طبيعة الطفل المبتدئ ، ومستوى ذكائه ، ويعلمه على مقدار قدراته وميوله واستعداداته » .

وكان التعليم فردياً ، أي أن المؤدب يعني بكل طفل على حده ، وفي هذا تلتقي التربية الإسلامية مع التربية الحديثة التي تأخذ بتفريد التعليم .

❖ مواد التعليم في الكتاتيب:

كان الأطفال يبدأون دراستهم بحفظ قصار السور من القرآن الكريم [4] ، عن طريق التلقين بالاضافة إلى الأحاديث الشريفة ، وبعض أصول الحساب وحفظ المأثور من الحكم ، وقصص الأنبياء ، وحكايات الأبرار ،والخط ، وبعض الأشعار التي تخلو من المجون والخلاعة .

---

(١) ابراهيم ياسين الخطيب ، توظيف التعليم لتحرير القدس ، ص١٢٢ .
(٢) احمد الشلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ص٣٠٢ .
(٣) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ٣/١ .
(٤) الشيرزي ، نهاية الرتبة ، ص١٠٣ .

وكان المؤدب يبذل جهده لتحسين خطوط الأطفال ، وكان الصبيان يتعلمون الخط في الشعر والنثر ، ولا يتعلمونه بالآيات القرآنية ، تنزيها لكتاب الله عزوجل عن ابتذال الأطفال له بالإثبات والمحو [١] ، وكان المعلمون يركزون على تحفيظ البنات سورة النور [٢] .

وكان المعلم يدرب الأطفال على الحنو على غيرهم ، واحترام كل من هو اكبر سناً ، ويعودون على التواضع ، والإكرام لكل من عاشرهم ، وطاعة الوالدين والإنقياد لهما والبر بهما ،ومساعدتهما ، وتقبيل ايديهما عند الدخول إليهما ، كما يعلمونهم حسن الحديث ، وتبصيرهم مواقع الكلام ، بدئه ونهايته وعدم الضحك إلا في أوقاته ، والإقلال من الكلام ، والكف عن لغو الكلام ، وفحشه ، والإعتماد على النفس .

وكانت تقام الاحتفالات البسيطة للطفل الذي يحفظ القرآن أو يحفظ جزءاً منه ، فكانت توزع الحلوى ، ويعطى المعلم هدية ، ويركب الطفل على حصان ، ويزف في الحارة ابتهاجاً في حفظه لبعض اجزاء القرآن .

❖ اساليب التدريس في الكتاتيب:

اعتمد التدريس على الحفظ والاستظهار ، أي ما يسمى اليوم التعليم اللفظي ، وتتم عن طريق التكرار والميل والحفظ [٣] كما استخدم المعلمون في تدريس الأطفال التلقين ، والتكرار فكان المعلم يتحدث والطلاب يصغون لما يقول ، ويحفظون ما يسمعون بالتكرار ، وكان لكل طفل صبي يساعده في حفظ الدروس ، خارج الكتاب .

وعندما يتقدم الطفل في الدراسة ، كان المعلم يملي على طلابه [٤] ، فيكتب

(١) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ٣٣/٨ .
(٢) احمد الشلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ص٥٧ .
(٣) احمد فؤاد الاهواني ، التربية في الاسلام ، ص١٦١ .
(٤) خليل طواطح ، التربية عند العرب ، ص١٩ .

الطلاب على الألواح الخشبية أويقومون بنقل بعض الآيات من القرآن الكريم ، ويقرأونها أمام المدرس ، وبعد أن يتقنوا تلاوة هذه الآيات وحفظها ينتقلون إلى آيات جديدة ، وهكذا حتى ينهوا القرآن الكريم .

وكانت تقام الإحتفالات المحلية للطلاب الذين يحفظون القرآن أو يتمون تلاوته .

❖ أنواع الكتاتيب:

١-نوع للأولاد عامة يدفعون فيه أجر تعليمهم .

٢- نوع لأولاد الفقراء وكان يسمى «كتاب السبيل» والتعليم فيه مجاني .

ب- التعليم في المسجد وأساليب التعليم:

كان الأطفال يتعلمون في المسجد القرآن ويرتلون ، فيجمعون بين النمو الفكري والحضاري ، يتعلمون القراءة ودستور المجتمع الإسلامي ، والنمو الروحي وهو الأرتباط بخالقهم ، وفيه يتعلمون الحديث والفقه وكل ما يحتاجون من نظم الحياة ، كما اراد الله أن ينظمها للإنسان ، ومن هداية الله وسنة رسوله . فالمسجد إذا يعلم الناشئين كل أمور الحياة للإرتباط بالله ، صادرة عن هدف التربية الإسلامية الذي هو اخلاص العبودية لله ، وينغرس هذا المعنى في نفس الناشئ عفواً من غير قصد ولا تكلف ومن أهم الجوامع التي كانت تهتم بهذا الموضوع ١- جامع المنصور ٢- جامع دمشق ٣- جامع عمرو ٤- المسجد الأقصى بالقدس و . . . .

وقد بقي القرآن في الكتاتيب والمساجد الى عهد قريب وسيلة لتعليم القراءة والكتابة ، فكان الأطفال قبل انتشار المدارس يتقنون قراءة القرآن ، فيعلمون القراءة على اسلوب طريقة الجملة ، أي أنهم يتقنون التعرف إلى الصور والكلمات ، مقترنة بالفاظها المنطوقة ، وكان الأطفال بعد هذه القراءة الأولى يكتبون القسم الذي قرأوه على الواح خشبية ، يحاكون رسمه الذي في المصحف ، وكلما كتبوا جزء يناسب مقدرتهم عادوا فأتقنوا تلاوتة ، ثم ينتقلون إلى غيره ، وهكذا حتى يتموا جميع القرآن ، ثم ينتقى منهم المتفوقون ليحفظوا القرآن عن ظهر قلب .

وهكذا يرتبط تاريخ التعليم الإسلامي ارتباطاً وثيقاً بالمسجد ، فكان مركزاً تشرح فيه تعاليم الدين الإسلامي ، وهو الصورة الأولى للجامعة المتخصصة بالبحث والدراسة والتي كانت تمثل حركة الإشعاع الفكري والثقافي التي تنطلق بعد ذلك إلى المجتمع فتوجهه الوجهة الصحيحة .

لهذا كان المسلمون يركزون على بناء المساجد في أرجاء البلاد لتكون مراكز اشعاع ، لإعطا ء الدروس ، ولتعليم الناس الحياة ، لا لتحضر فيها الصلاة كما هو عليه اليوم فقط .

لم يكن المسجد مكاناً للعبادة فحسب ، بل كان مركزاً للحياة السياسية والإجتماعية ، فكان النبي يستقبل السفراء في المسجد ، ويدير شؤون الدولة ، كما كان المسجد يستخدم لاجتماع العلماء وتفسير الحديث ، ومعهداً للتعليم ، ومركزاً لإنعقاد جلسات القضاء .

❖ اساليب التعليم في المساجد:

انتشرت حلقات العلم في مختلف المواد في المساجد ، وكان النشاط يبلغ اقصاه ما بين المغرب والعشاء ، إذ كان الحضور متاحاً للجميع ، واتخذ المدرسون زوايا المساجد مكاناً لتدريس الطلاب وعقد المناقشات والمناظرات ، وكان المدرس يجلس في مكان عال ، ومن حوله طلاب العلم يشرح لهم الدروس المختلفة ، وهم من حوله يصغون ويستوضحون ما غمض عليهم فهمه ، ويناقشون ويبادلونه الرأي .

وبهذا كان المدرس يستخدم أساليب مختلفة في التدريس ، منها التلقين ، والمحاضرة ،والمناقشة والمناظرة .

وكان الطلاب يستوضحون ما غمض عليهم ، ويناقشون المدرس ويبادلونه الرأي ، وكان هناك عدد من المدرسين في المسجد ، يحاضر كل منهم فيما تخصص فيه من علم ، ولم يكن بعض المدرسين يتقاضون اجراً ، بل كانوا يدرسون ابتغاء وجه الله تعالى ، وخدْمة للعلم .

❖ **مواد التعليم في المساجد:**

كانت المساجد مراكز التعليم للمواد المختلفة ، فلم يعد التدريس قاصراً على العلوم الدينية فقط ، كما يعتقد البعض ، بل شمل العلوم الأخرى كاللغة والأدب والكيمياء وعلم الكلام والطب . وكانت المناهج تقسم الى قسمين :

١-العلوم الاجبارية :

كان القرآن الكريم هو العلم الذي ينبغي أن يدرسه الطلاب ، وتستلزم معرفة القرآن الصحيحة دراسة اللغة العربية كالنحو ومعاني الكلمات والخط والبلاغة .

٢-العلوم الإختيارية :

وتشمل الحساب والشعر ، والتاريخ ، والطب وغيرها من علوم العصر آنذاك .

وقد حفظ لنا التاريخ اسماء مئات المدرسين الذين كانوا يدرسون في المساجد ، فقد كان عبد اللطيف البغدادي يدرس الطب في الأزهر [١] ، كما كان الأزهر مركزاً لدراسة التفسير والقراءات والحساب والمنطق والتأريخ واللغة والعروض [٢] .

واستخدم المسلمون المساجد لتدريس الفقه ، فكان الفاطميون يركزون على الفقه الشيعي في الأزهر ، فلما جاء صلاح الدين أمر بتحويل العديد من السجون الى مساجد ، واتخذها لتدريس الفقه على المذهب السني ، فكان المصلون يجلسون في حلقات للإستماع إلى شروح بعض الأمور الفقهية والعبادات .

أما تدريس الطلاب فكان يتم في زوايا أو أماكن خاصة من المساجد للدراسة المنتظمة ، للعلوم التي سبق ذكرها ، وكان المدرسون لا يتناولون أجراً على تعليمهم الصبيان ، ويمنحونهم إجازة بعد نجاحهم في المادة التي درست ، وكان كل مدرس يختص بتدريس موضوع من المواضيع . فمثلاً كان ابن معطي يدرس النحو في جامع

---

(١) ابن ابي اصبيعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص٦٣٠ .

(٢) احمد بدوي ، الحياة العقلية ، ص١٧ .

عمرو في القاهرة في القرن السادس الهجري ، وعثمان بن سعيد الصهناجي ت ٦٣٩هـ يدرس الفقه ، وأبو اليمن الكندي زيد بن الحسن ت ٦١٣هـ يدرس علم القراءات العشر ، ومحمد بن القيسراني الدمشقي ت ٦٣٠هـ علم الهيئة (الفلك) وابن البيطار ، ضياء الدين أبو محمد عبد بن أحمد المالقي (ت٦٤٦هـ في دمشق) علم الصيدلة .

جـ- التعليم في المدارس النظامية:

عندما ازداد اقبال الناس على التعليم لم تعد المساجد قادرة على استيعاب الإعداد المتزايدة من الطلاب والمصلين ، كما أن أصوات الطلاب في المساجد كانت تختلط مع الصلاة ، لهذا نشأت المدارس على يد نظام الملك وزير السلطان ألب ارسلان السلجوقي .

ثم انتشرت المدارس في القرن الخامس الهجري على نطاق واسع في العالم الإسلامي ، ولاسيما في بلاد الشام ، والعراق .

أنشأ نظام الملك مدارس عديدة في المدن الكبيرة عرفت بالمدارس النظامية ، منها المدرسة النظامية في بغداد ، والنظامية في نيسابور ، وكان هدف انشاء هذه المدارس تحرير عقول الناس من افكار الشيعة التي نشرها البويهيون [١] .

ولماجاء نور الدين زنكي بنى المدرسة النورية ، كما إقتفي صلاح الدين والمماليك أثر نور الدين في بناء المدارس ، وقد بنى صلاح الدين والأيوبيون في مصر والشام أكثر من مائة مدرسة ، وكان بعضها يشبه الجامعات اليوم ، كالمدرسة الصالحية في مصر ، والنورية في دمشق ، والصلاحية في القدس ، كما كانت هناك مدارس للطب كالمدرسة اللبودية في دمشق ، والدخوارية في دمشق والمهذبية في القاهرة وغيرها .

ولم يقتصر التعليم على المدارس ، بل انتشر التعليم في الزوايا والخوانق والربط .

وقد ذكر ابن جبير في رحلته لدى زيارته بلاد الشام أنه رأى في دمشق عشرين مدرسة [٢] .

---

(١) ابن الاثير ، الكامل ، ١٢٧/١٠ .
(٢) ابن جبير ، الرحلة ، ص٢٢٩ .

وكان التعليم في المدارس مجاناً ، بل كان المتعلمون يتناولون أجوراً شهرية ويناموت في الأقسام الداخلية للمدرسة ، ويعالجون مجاناً ، ولذلك وفد أهل الأندلس والمغاربة إلى المشرق لتلقي العلم ، فاقام الأيوبيون لهم المساكن الخاصة ، وفتحوا لهم المدارس ، وخصصوا لهم الأموال الكافية لتغطية نفقات دراستهم ، وقد أوقف الملك الأيوبي الأفضل حارة المغاربة في القدس على الوافدين للدراسة من المغرب .

❖ مواد التعليم في المدارس:

تطور التعليم بعد نشوء المدارس ، وازداد التخصص فكانت المدارس تدرس المواد التالية :

علم القراءات ، والتفسير ، والفقه ، واللغة من ادب ونحو وعروض ، والحساب والهندسة وعلم الهيئة ، والطب .

كان الطب يدرس في المستشفيات بالإضافة إلى المدارس التي خصصت لدراسته ، وقد كان الطب يدرس في القدس ودمشق والقاهرة في مدارس خاصة ، وكان يتدرب الطلاب في المستشفيات تحت اشراف المدرسين .

أما الحديث فكان يدرس في دور متخصصة كالمدرسة النورية بدمشق ، والكاملية في القاهرة ، ودار الحديث بدمشق ، ودرس النحو في المدرسة النحوية في بيت المقدس ، والمعظمية في دمشق .

وكان الفقه على المذاهب الأربعة يدرس في معظم المدارس وبخاصة في المدرسة الصالحية بالقاهرة .

وقد اشتهرت المدرسة الصلاحية بالقدس بتدريس الحساب والطب١ في عهد الأيوبيين بعد أن حررصلاح الدين بيت المقدس سنة ١١٨٧ .

وهكذا كانت جميع المواد تدرس إلا الفلسفة التي لم يسمح بتدريسها حرصاً على المحافظة على نقاوة الدين .

أما الموسيقى فكانت تدرس على نطاق محدود في بعض المنازل ، وقد اشتهر رضوان بن فخر الدين الساعاتي وابن سنار الملك في تدريس الموسيقى ، ووضع الثاني نظرية موسيقية لفن التوشيح ، وقد عاشا في القرن السابع الهجري .

❖ اساليب التعليم في المدارس:

كان المدرسون يستخدمون الالقاء والمحاضرة في تدريسهم ، كما كانوا يعقدون المناظرات بين الطلاب بين الحين والآخر .

واعتمد المدرسون اسلوب كتابة التقارير والبحوث لتعزيز الدراسة .

وكان الأسلوب المستخدم هو التعليم الفردي ، وفقاً لاستعدادات وقدرات كل طالب .

وكانت المناقشة من الأساليب الشائعة في التدريس ، وكثيراً ما كان يعارض بعض الطلاب اساتذتهم في الآراء العلمية ، كما كانت تعقد المناظرات العلمية بين المدرسين والعلماء والطلاب ، وذلك لأثراء معلومات الطلاب والحضور ، وكانت الرحلة معروفة طلباً للعلم ، فكثيراً ما كان عالم يسافر من الغرب الى الشرق ليتحقق من صحة حديث أو ليستمع إلى أحد العلماء المشهورين في العصر الإسلامي ، ولذلك كثر القادمون من المغرب والأندلس الى الشرق العربي ، فظهرت في تلك الفترة حارات خاصة بهم ، وكانوا يعتمدون في دراستهم على ما تخصصه الأوقاف لهم للنفقة ، وما زلنا نعرف حارة المغاربة في القدس ، التي خصصها الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي للطلاب القادمين من الأندلس والمغرب في القرن السابع الهجري .

د- التأديب في القصور

ظهر التعليم الابتدائي في قصور الخلفاء والعظماء كي يجد ابناء هؤلاء ما يؤهلهم لتحمل الأعباء التي ، سينهضون بها ، ويرتبط هذا النوع من التعليم بالكتاب إلى حد ما ، لأن هدف كليهما تعليم الصبيان ، غير أنه يختلف عنه بعض الشيء .

ويسمى المعلم الذي يدرس ابناء الخلفاء مؤدب ، ويضع المؤدب المنهاج بالتعاون مع الأب ، ويبقى المتعلم يتلقى العلم حتى يجاوز عهد الصبا ، ثم ينتقل من مستوى تلميذ الكتاب الى مستوى الطالب في حلقات المساجد أو المدارس .

وكثيراً ما يخصص للمؤدب جناح في القصر يعيش فيه ، ليكون اشرافه على الأمير أحكم وأشمل ، ذلك أن عمل المؤدب لا يقتصر على التعليم بل يشمل تأديب الطفل واكسابه طريقة التعامل مع الأخرين ، وأدب الحديث والتوجيهات التي يراها ولي أمر الطفل ضرورية لحياة الطفل المقبلة ، وقد كان أبو سعيد البدهي مؤدباً لأولاد صلاح الدين الأيوبي .

قال الخليفة هشام بن عبد الملك لسليمان الكلبي (مؤدب ابن هشام) أن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني ، وقد وليتك تأديبه ، فعليك بتقوى الله ، واداء الأمانة ، وأول ما أوصيك به أن تأخذه بكتاب الله ، ثم روه من الشعر احسنه ، ثم تخلل به في احياء العرب فخذ به صالح شعرهم ، وبصّره طرفاً من الحلال والحرام والخطب والمغازي .

أما الرشيد فطلب من مؤدب ابنه الأمين أن يبصره بمواقع الكلام ، وبدئه ، فقال امنعه من الضحك إلا في اوقاته ، وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ، . . . .ولا تمعن في مسامحته ، فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة .

❖ تأديب الإناث في البيوت:

اقتصرت الكتاتيب على الذكور دون الإناث ، وفي ذلك يقول سحنون [1] أكره للمعلم أن يعلم الجواري ، ويخلطهن مغ الغلمان لأن ذلك فساد لهن ، على أن النهي عن تعليم البنات في الكتاب لا يعني أنها لا تتعلم فقد الزم القابسي من قبل

(١) احمد فؤاد الاهواني ، التربية في الاسلام ، ص١٥٨ .

تعليمها ، لضرورة معرفتها الدين والعبادات ، وقد جرت العادة على تعليم البنات داخل الدور والقصور ، والنساء الكاتبات والشاعرات اللاتي نجد ذكرهن في كتب الأدب أكبر دليل على انتشار التعليم بين النساء .

وعلة منع البنات الذهاب الى الكتاتيب ترجع الى الغيرة على الأخلاق وحفظ الدين . ولم يكن هذا الخوف مقصوراً على افساد الإناث مما دعا إلى ابعادهن من الكتاب ، بل شمل الخوف الغلمان أيضاً ، ولهذا نص الحذر من افساد الغلمان بعضهم بعضا مما يخشى معه الفساد .

الوحدة السادسة

الاصول التربوية التي اتبعها معلمو ومؤدبو الاطفال

أ- مراعاة الفروق الفردية .

ب- التكرار المتصل .

جـ- مراعاة ميول واستعدادات الاطفال الفطرية .

د- اساليب القصص القرآني بأنماطه المختلفة : الحواري والتاريخي والواقعي ومناسبتها لمواد التعليم الدينية .

هـ- اسلوب القدوة والمحاكاة والتقليد .

و- تقنيين البرنامج التعليمي من حيث الدوام وساعات الدراسة ، العطل الرسمية والأعياد .

ز- الترويح والترفيه عن النفس .

ع- الثواب والعقاب

الحث والترغيب ، التوبيخ ، الضرب وشروطه ، انواع الاثابات والمكافآت ، تعزيز النجاح .

الاصول التربوية

اتبع المعلمون ومؤدبو الأطفال الأصول التربوية التي تشابه الأصول التي يستخدمها المربون في ايامنا هذه ، وهذا يدل على ما وصلت إليه الأصول التربوية في الدولة الإسلامية من تقدم ،وفيما يلي أبرز الأصول التربوية التي اتبعها معلمو ومؤدبو الأطفال :

أ. مراعاة الفروق الفردية

من الأمور المسلم بها في التربية القرآنية أن الأفراد يتفاوتون في مواهبهم ومؤهلاتهم ، كما يتفاوتون في الظروف التي ينشأون فيها ، لذلك فلا يجوز أن تتوقع نتائج واحدة لجميع الأفراد ، ولامستويات واحدة لجميع الأطفال . وهذا ما تؤيده البحوث الحديثة في علم النفس ، ففي القرآن الكريم آيات تبين لنا الفروق والتفضيل بين الأفراد : الفروق في الخلقه والعمل والظروف ،ولاشك أن لهذه الفروق حكمة الهية ، إذ هي التي تدفع الإنسان والمجتمع نحو التطور والرقي المستمر . فالفروق الفردية تعمل على التجديد والتنويع في الحياة الاجتماعية ، وذلك لاختلاف المواهب والميول والعبقريات ، هذا وإن القرآن الكريم صريح في أن تفوق البعض على الآخرين في المنزلة والمقدرة إنما هو بمثابة امتحان لهم . فهل هم يستخدمون هذا التفوق للخير ، ونشير الى بعض الآيات التي تبين الفروق الفردية قال تعالى﴿ **وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم . . . .**﴾ الانعام ١٦٥ .

﴿والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء . . . .﴾ النحل ٧١ .

وإن الفروق الفردية تلقى على المربي تبعات خاصة ، وذلك بالعناية بكل فرد حسب مواهبه وقابلياته وظروفه الخاصة .

❖ تكييف التربية والتعليم حسب الفروق الفردية:

القرآن الكريم اعترف باختلاف قوى الافراد ومواهبهم ، ولكنه لم يكتف بالتصريح بهذا بل ذهب إلى أبعد من ذلك ، ففي نواحي الحياة كلها بما في ذلك التربية والتعليم هناك دعوة صريحة الى ضرورة تحمل كل نفس «أي كل فرد» ما تستطيع حمله وعدم تكليفها فوق ذلك ، فقوله تعالى﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾ سورة البقرة .

وتشمل الفروق الفردية نواحي الحياة كلها بما في ذلك التعليم ، فلكل انسان «وسعه» الخاص به فلا يجوز تحميله فوق طاقته ، فقيام المعلمين بفرض واجبات متساوية على اطفال قد تكون مواهبهم وقابلياتهم متفاوته ليس من الانصاف في شيء وهو أمر يتنافى مع ما نص عليه القرآن ، كما يتنافى مع ما تدعو اليه التربية الحديثة .

وعملاً بالقاعدة نفسها ورد الحديث الشريف «نحن معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم» ففي الحديث مبدأ تربوي مبني على الاعتراف لما بين الناس من فروق في العقول .

ب- التكرار المتصل:

كان التعليم يعتمد على الحفظ والاستظهار ، وقد اعتمد على التكرار للحفظ ، وقد ذكر القابسي أن طرق الحفظ هي التكرار والميل والفهم ، وقد جاء ذكر التكرار في حديث عن الرسول ﷺ يختص بحفظ القرآن ، قال :«مثل القرآن كمثل الابل المعلقة ، إذا عاهد صاحبها على عقلها أمسكها ، وإذا اطلقها ذهبت ، إذا قام صاحب القرآن بالليل والنهار ذكره ، وإذا لم يقرأه نسيه» ويعلق القابسي على هذا الحديث قائلاً :

«وقد بين في هذا الحديث كيفية المعاهدة التي يثبت بها حفظ القرآن ، ويقوى على الحفظ حتى لايتلعثم فيه» ، والقابسي يذكر مراحل المذاكرة الثلاث الأساسية

وهي « الحفظ والوعي والاسترجاع» وما نصطلح على تسميته الأن الوعي يطلق عليه التثبيت ، وسهولة الاسترجاع عدم التعلثم .

ولا يفوتنا أن نذكر أن وسائل الحفظ مع الاستفادة من جميع الحواس أفضل من استخدام وسيلة واحدة ، على الأخص إذا عرفنا أن بعض الناس بصريون وبعضهم سمعيون وبعضهم حركيون ، فهناك من يحفظ عن طريق البصر بالقراءة الصامتة ، وهناك من يستفيد عن طريق السمع بالقراءة الجهرية ، وهناك من يستفيد بالحركة عن طريق الكتابة . وهذه الوسائل كلها كانت متبعة في تعليم الصبيان .

جـ- مراعاة استعدادات الصبي الفطرية وغرائزه الطبيعية في ارشاده الى المهنة:

لقد قال علماء التربية الإسلامية ، وخاصة ابن سينا بمراعاة ميول المتعلم واستعداداته الفطرية ، وقدراته الطبيعية عند ارشاده الى المهنة التي يختارها في مستقبل حياته لخدمة بلاده ، وقد نادى ابن سينا بالعناية بدراسة ميول الصبي ، وجعلها اساساً لإرشاده وتربيته .

ينصح ابن سينا المربين من الآباء والمعلمين الذين يرون اختيار صناعة من الصناعات لصبي من الصبيان ان يزنوا طبع الصبي ، أوميوله ويعرفوه ويختبروا قدرته وعقله ، وذكاءه حتى يختاروا له من الصناعات ما يناسب ميله وعقله ، وهذا رأي من أثمن الآراء في التربية الإسلامية يتفق مع أحدث الإتجاهات في التربية الحديثة . فهو يرى ان من الواجب البحث عما يناسب ميول الصبي وطباعه وغرائزه أو مراعاتها في اختيار ما يرغب التخصص به في المستقبل ، فإذا أحب الدراسة العقلية أو العلمية أرشد اليها ، واعطى الفرصة في دراسة ما يريد ، وهذا ما ينادى به اليوم في عالم التربية :

فمن كان يميل بطبعه إلى الأدب ، والدراسة الأدبية لا يستطيع أن يكون متفوقاً في البحوث العلمية أو من كان يميل إلى العلوم الرياضية لا يمكنه ان يتفق مع

الأداب ، وليس من السهل ان يظهر المتعلم التفوق والنبوغ والمهارة في كل مادة يدرسها ، أما المواد التي يكرهها وينفر منها ، فمن المحال أن يتفق فيها فكل متعلم ميسر لما خلق له - وهذا ما يريده ابن سينا بقوله :-

(وربما نافر طباع الإنسان جميع الأداب والصناعات فلم يعلق منها شيء) ، ولو كان من السهل ان يحقق المتعلم كل ما ينبغي لكان أدبياً أو عالماً أو رياضياً أو طبيباً كما أراد ، ولكن ميول الشخص وذكاءه وعقليته هي التي تتحكم في فوزه أو خيبته وتؤثر في نجاحه أو اخفاقه .

وقد عنى عبد الرحمن بن الجوزي كل العناية بتوضيح اهمية الإستعدادات الفطرية التي لدى الصبي ومراعاتها في التدريس حيث قال :

ان الرياضة لا تصلح إلا في نجيب ، والبليد لا تنفعه الرياضة ، والسبع وأن ربي صغيراً لا يترك الافتراس ، ومعنى هذا للذكاء والنباه أثر كبير في نجاح المتعلم في الناحية العلمية ، وأن النجيب الذكي يصلح للرياضة ، ويستطيع أن يدرسها ويتفوق في دراستها ، وأن الكودن هو البليد الغبي لا تنقصه الرياضة ، ولا يمكنه ان ينجح في المواد التي تحتاج الى ذكاء ولا يستطيع أن يتفوق فيها ، والسبع المفترس بفطرته لن تحوله التربية من حيوان مفترس إلى حيوان اليف هادئ وديع لا يضرب أحداً لأن الطبع يغلب التطبع .

وقد أوصى الزرنوجي في كتابه(تعلم المتعلم) الا يختار الطالب وحده المادة التي يريد أن يتخصص بدراستها ، بل يشترك معه المدرس بما أوتى من خبرة وتجربة في اختيار ما يلائمه من العلوم ، وليس لدينا ما يمنع في ان يختار الطالب المواد التي يميل اليها ، ويستنار برأي استاذه في الاختيار بشرط الا تهمل ميول الطالب من الناحية العلمية .

(مراعاة ميول الأطفال لبعض المواد الدراسية حتى يسهل عليهم فهمها) :

وقد بين ابن خلدون أن مطالبة الأطفال بدراسة المسائل الصعبة التي فوق مداركهم تؤدي الى اجهادهم اجهاداً عقلياً ، وإلى كراهيتهم الدائمة للعلم والتعلم ،

ونادى بأن تكون المادة مناسبة في سهولتها وصعوبتها لإدراك الطفل ، وانتقد من كانوا يقولون بتقديم المواد الصعبة للطفل ظانين ان ذلك يساعد في تقوية تفكيره ، وهذا ما يريده علماء التربية اليوم في ميولهم .

(الانتقال من السهل الى الصعب) :

فابن خلدون يتفق مع فلاسفة التربية الحديثة الذين يطالبون بمراعاة ميول الطفل وجعلها اساساً لتعليمه ، وينادون بأن نجاح الطفل في أي عمل يساعده على النجاح في غيره من الأعمال لأن النجاح ، يؤدي الى النجاح وأن ما يساعده على النجاح . . .يشبع ما لديه من ميل فطري اي حب التقدم والسيطرة .

فإذا كانت الدروس صعبة والمواد فوق مستواه ، صعب على الطفل فهمها وضاعت ثقته بنفسه ، لأنه لم يجد الغذاء العقلي المناسب لنموه وتقدمه .

ولا يمكننا أن ننسى ما أظهره ابن خلدون من الآراء النفسية الثمينة ، والملاحظات الدقيقة الخاصة بمراحل النمو ، وهي لا تختلف مطلقاً عن آراء علماء النفس في عصرنا الحاضر ، فقد بين ما تمتاز به مرحلة الطفولة من الطاعة والهدوء والاستقرار ، ولهذا عنيت التربية الإسلامية في هذه المرحلة بالحفظ والإستظهار ، والاعادة والتكرار والانتفاع بما لدى الطفل من استعدادات ، ووضع ما تمتاز به مرحلة البلوغ والمراهقة من الميل الشديد الى الجدية ، والاستقلال في العمل ، وكره القيود والعبودية .

د-اساليب القصص القرآني:

لكل قصة قرآنية أو نبوية ، هدف تربوي رباني سيقت من أجله والعبرة بالقصة إنما يتوصل اليها صاحب الفكر الواعي **﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾** [1] .

(١) يوسف :آية ١١١ .

والحوار معناه أن يتناول الحديث طرفان أو أكثر عن طريق السؤال والجواب بربط وحدة الموضوع أو الهدف . وللحوار أثر بالغ في نفس السامع أو القارئ إذ يتبع الموضوع بشغف وإهتمام ، وذلك للأسباب التالية [(١)] .

(١) عرض الموضوع عرضا حيوياً ، إذ يتناوله الطرفان بالأخذ والرد بما لا يدع مجالاً للملل .

(٢) اغراء السامع أو القارئ بالمتابعة بقصد معرفة النتيجة ، وهذا أيضا يبعد الملل ويجدد النشاط .

(٣) ايقاظ العواطف والاتصالات بما يساعد على تربيتها وتوجيهها المثل الأعلى .

(٤) عرض الموضوع عرضاً واقعياً بشرياً .

وقد تعددت أنواع الحوار وأساليبه وأشكاله في القرآن ومنها :

أولاً :- الحوار القصصي : هو الذي يأتي في طيات قصة واضحة من شكلها وتسلسلها القصصي ، وقد جاءت بعض القصص على شكل الحوار على الأخبار كقصة شعيب مع قومه في سورة هود ، ولقد انتشر هذا الحوار في كثير من قصص القرآن والحوار القصصي ذو أثر فكري رائع بالاضافة إلى أثره الوجداني العاطفي للأسباب التالية :

(١) يعتمد الحوار القصصي على الإيحاء ، فهو يوحي الى القارئ بطريق غير مباشر .

(٢) يربي العواطف الربانية في النفس كالحب في الله والرغبة في الدعوة الى الله والحماسة للأشياء الله .

(٣) يعرض حجج الأنبياء عرضاً فكرياً ربانياً وقد حض فيه حجج الظالمين .

(٤) يمتاز بذكر قيمة القصة ومصير كل من الظالمين والمؤمنين .

---

(١) عبد الرحمن النحلاوي ، اصول التربية واساليبها ٩ .

هـ- القدوة والمحاكاة التقليد:

بعث الله الرسول ﷺ ليكون قدوة للناس يحقق المنهج التربوي الإسلامي لقوله تعالى﴿ **لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة**﴾ سورة ، آية . وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول ﷺ فقالت كان خلقه القرآن .

لقد كانت شخصية الرسول وسلوكه ترجمة علمية بشرية لحقائق القرآن وتعاليمه . وآدابه وتشريعاته ، لذلك كان نبراساً للناس يبين لهم كيف يطبقون شريعة الله ، فكانت حياة الرسول مرشداً للناس في حياتهم ، كما حصل عندما أراد الله لرسوله أن يتزوج امرأة زيد الذي تبناه الرسول ﷺ ، ليبين للناس عملياً أن لا حقوق لزيد من حقوق البنوة الطبيعية أو التشريعية ، لقوله تعالى﴿ **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولاً**﴾ سورة الاحزاب ،آية ٣٧ .

وكان رسول الله ﷺ مثالاً للمربي القدوة يتبعه الناس ، فكان يتقدم الصحابة أو يوجههم في الحروب والإنفاق ، ويحفر الخندق مع صحابته أثناء غزوة الخندق ، ويصبر على الشدائد ، ويحسن معاملة أهله لقوله ﷺ «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي» .

وكان الرسول ﷺ قدوة في ابوته ومعاملته لأبنائه ولجيرانه ، وهكذا فيجب ان يكون المربي قدوة صالحة ، فالطفل يقلد معلمه ووالديه ، والتلميذ في المدرسة يرى في معلمه القدوة ، يتعلم منه ويطبق سلوكه ، لذا يجب أن يتحلى المعلم بالأخلاق الحميدة ، ولنا كمربين أن نضع نصب اعيننا الرسول ﷺ كيف كان مربياً للأمة الإسلامية وقدوة صالحة لها .

والإسلام لا يعرض هذه القدوة للإعجاب السالب وإنما يعرضها على الأمة والأطفال لتحقيقها في انفسهم ، كل بقدر ما يستطيع أن يقتبس ، فتظل القدوة الصالحة تتدفق حيويتها ماثلة للعيان ، ولعل الحكمة في ذلك ما اودعه الله في طبيعة النفس الانسانية من استعداد للمحاكاة .

إن الإنسان يميل إلى التقليد ، ولذلك لابد أن نبعد من خياة الطفل التقليد الأعمى السلبي ، ونركز على التقليد الإيجابي الهادف الذي يحسن سلوك الفرد إذ كان الرسول ﷺ يقول «صلوا كما رأيتموني أصلي» .

و- تقنين البرنامج التعليمي:

* الدوام :

كان الأسبوع الدراسي يبدأ في صباح السبت ، وينتهي في ظهر الخميس . وبذلك يعتبر الأسبوع وحدة تعليم ، ويستمر التعليم يومياً من الصباح حتى العصر ، ويتناول الطلاب أثناء ذلك طعام الغداء ، كما يقومون بأداء صلاة الظهر .

* العطل الدراسية :

كان الطلاب يعطلون بعد ظهر يوم الخميس ويوم الجمعة ، وكان المعلم يراقب اعمال الصبيان عند آخر الأسبوع ، ويقف وقفة قصيرة ليرى مبلغ ما حصلوا .

وكان الطلاب يعطلون في عيد الأضحى خمسة أيام ، وفي عيد الفطر ثلاثة أيام ، كما كانوا يرتاحون عندما ينهي الطالب حفظ القرآن ، فتقام له حفلة بسيطة ، يركب الحصان وتوزع الحلوى لإتمامه حفظ القرآن ، أو إتمام حفظ جزء من القرآن الكريم .

ولم يكن هناك عطلٌ مدرسية كماهو اليوم بل كانت الدراسة مستمرة .

ر- الترويح والترفية عن النفس:

الاسلام دين الواقع ، والحياة يعامل الناس على أنهم بشر لهم أشواقهم القلبية وحظوظهم النفسية وطبيعتهم الإنسانية ، فهو لم يفترض فيهم أن يكون كل كلامهم ذكراً ،وكل صمتهم فكراً .

وهناك وسائل شرعها الإسلام من الإعداد الجسمي والتدريب الجهادي ، يتبين من خلالها ان الإسلام هو دين واقعي ، يقر للمسلم اللعب البرئ ، واللهو المباح مادام في مصلحة الإسلام ، من ذلك ما رواه الطبري بإسناد جيد عن رسول الله ﷺ أنه

قال «كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أوسهو إلا أربع خصال ، الرجل بين القرضين (للرمي) وتأديبه فرسه ، وملاعبته أهله ، وتعليمه السباحة» وهناك الوان شرعها الإسلام من اللهو الحلال [1] منها :

١-مسابقة العدو ٤- اللعب بالحراب .

٢-المصارعة ٥- العاب الفروسية

٣- اللعب بالسهام ٦- الصيد

٧- اللعب بالشطرنج

وايضاً حرم على المسلمين اصنافاً من اللهو والواناً من الترفيه لضررها البالغ على اخلاق الأفراد واقتصاد المجتمع ومنها(*) .

١-اللعب بالنرد (الطاولة) ٢-الاستماع الى الغناء والموسيقى ٣- رؤية السينما والمسرح والتلفزيون ٤- اللعب بالميسر .

وإذا كان اللعب البرئ والترويح عن النفس والإعداد الجسمي ، والرياضي من الأمور الهامة واللازمة للمسلم ،فإن لزومها للولد وهو صغير من باب اولى وذلك لامرين هامين :

الأول : لأن قابلية التعلم للصغير أكثر من قابلية التعليم عند الكبار لحديث (العلم في الصغر كالنقش في الحجر) .

الثاني : لأن حاجة الولد الى ظاهرة اللعب والمرح والترويح وهو صغير اكثر بكثير من حاجته اليها وهو كبير .

ع- الثواب والعقاب:

قل أن تجد مبدءا من المبادئ في التربية اجمع الناس عليه في العالم ، وفي كل عصر من عصوره على ضرورته . كاجماعهم على الثواب والعقاب وأثرهما في تربية

---

(١) من كتاب « الحلال والحرام» للاستاذ يوسف القرضاوي ، ص٢١١ .

(*) انظر التفاصيل عن اسباب التحريم والحكمة من ذلك في كتاب تربية الاولاد في الاسلام .

الأولاد ، فقد قال سليمان الحكيم من يمنع عصاه يمقت ابنه ، ومن احبه يطلب له التأديب .

تنوعت العقوبات والمكافآت ،فشملت :

❖ **الحث والترغيب:**

الترغيب يقصد به وعد يصحبه تحبيب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة مؤكدة خالصة من الشوائب ، مقابل القيام بعمل صالح . أما الترهيب فهو وعيد وتهديد لعقوبة تترتب على اقتراف أثم أو ذنب ، بما نهى الله عنه أو على التهاون في اداء فريضة بما أمر الله به . قال تعالى﴿ **قال أن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، ألا ذلك هو الخسران المبين (١٥) لهم من فوقهم ظلل من النار ، ومن تحتهم ظلل ، ذلك يخوف الله به عباده ، يا عباد فاتقون (١٦)** ﴾ سورة الزمر .

تعتمد التربية بالترغيب على الإقناع والبرهان ، وذلك بغرس الإيمان والعقيدة الصحيحة في نفوس الناشئين ليتسنى لنا أن نرغبهم الجنة وأن نرهبهم من عذاب الله ، ويكون الترغيب القرآني والنبوي مصحوباً بتصور فني رائع لنعيم الجنة ، بأسلوب واضح يفهمه جميع الناس ،ويعتمد الترغيب على اثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية ، وهذه التربية الوجدانية مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية :-

١-كعاطفة الخوف من الله التي أمر بها الله : قال تعالى :﴿ **ولا تخافوهم ، وخافوني إن كنتم مؤمنين﴾سورة آل عمران آية ١٧٥ ، وقال ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ سورة الرحمن ، آية ٤٦ ، وقال سبحانه ﴿ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين﴾ سورة الاحزاب ، آية ٥٥ ، وقال ﴿ ولا تفسدوا في الأرض بعد اصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً أن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ سورة الاعراف ، آية ٥٦ .**

٢-الخشوع ومعناه التذلل والخضوع والشعور والانقياد والعبودية لله . وقدرة الحض على الخشوع عند ذكر الله وقراءة القرآن . قال تعالى﴿ **ألم يأن للذين آمنوا ان**

تخشع قلوبهم لذكر الله ، وما نزل من الحق ، ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد ، فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾ سورة الحديد ، آية ١٦ .

❖ العقاب:

حدد القابسي أنواع العقوبات بما يلي :

١-العبوس : تبدأ العقوبات بالعبوس في الوقت المناسب لتضع الطالب في موقع الأدب .

٢- الانذار سواء الشفوي او الكتابي .

٣- التوبيخ : ويستخدم اذا لم يجد الإنذار والعبوس نفعاً .

٤- الضرب : يلجأ المعلم الى العقوبة البدنية عند الضرورة القصوى على أن لا يكثر استعمالها ، وأن لا يكون المعلم متشفياً قاسياً ، بل مؤدباً رحيماً [١] .

وقال ابن خلدون ، لاينبغي لمعلم الصبيان ان يزيد في ضربهم إذا دعت الحاجة إليه عن ثلاثة اسواط ، شريطة ان يكون الضرب على المواضع التي لا يخشى منها مرض ولاغائله ، ولايكون الضرب على الرأس ولا على الوجه ، ولا يضرب بعصا غليظة تكسر العظم ، ولارقيقة تؤلم الجسم ، بل تكون وسطاً ، ويتخذ جلداً عريض السير .

وقد وضع ابن مسكوية نظاماً لتأديب الأطفال يقول فيه[٢] ، الذنب الأول الذي يرتكبه الصبي يعفى منه ، والثاني يعاقب عليه مباشرة ،فإن عاد الى ذلك ضرب ضرباً خفيفاً ، فإذا استعمل المؤدب هذه الطرق ، ولم ينته الطفل ، فعليه أن يترك مدة ثم يعود إليه بنفس الأسلوب .

ويرى القابسي أنه لا يجوز ضرب الأطفال قبل العاشرة ولا ضرب الطلاب الذين تقدمت اعمارهم .

---

(١) الغزالي ،احياء علوم الدين ، ٤٣/٣ .

(٢) احمد الشلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ص٢٧٤ .

❖ **انواع الإثابات:**

مر معنا ان العقوبات كانت متنوعة ، منها العبوس والضرب ، وكذلك كانت صنوف التقدير والأثابة تشمل المدح والتشجيع والمكافآت المادية ، قال ابن مسكوية ، ويمدح الصبي بكل ما يظهر منه من خلق جميل ، وفعل حسن ، ويكرم عليه ، وقال الغزالي [1] ، ويمدح الصبي المتأدب ، ومهما ظهر منه من خلق جميل وفعل محمود فينبغي أن يكرم عليه .

وكانت المكافآت والجوائز المالية منتشرة للطلاب ، فقد جعل الملك الإشرف على مدرسته في دمشق ثمانية دراهم لكل طفل ، ومن كان نشيطاً زاد عن ذلك ، ومن حفظ كتاباً فللمعلم ان يخصه بجائزة .

وهكذا كان المعلم يكافئ من يستحق بمدحه ، أو يكافئه بجائزة مالية ، فإذا حفظ الطالب المفصل للزمخشري منح ثلاثين ديناراً وبعض الملابس [2] .

(١) احياء علوم الدين ٣/٥٨ .

المراجع:

١-أحمد فرج : الاسره في ضوء الكتاب والسنه .

٢- عبدا لله علوان ، تربية الأولاد في الإسلام .

٣-المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الفكر التربوي العربي الإسلامي .

٤-أحمد فؤاد الأهواني ، التربية في الإسلام .

٥-أحمد الشلبي ، التربية الإسلامية نظمها وفلسفتها .

٦- عبدالكريم النحلاوي ، اصول التربية الإسلامية واساليبها .

٧-عبد الله عبدالدائم ،التربية عبر التاريخ .

٨-الإمام محمد ابو زهرة ، تنظيم الإسلام للمجتمع .

٩-ابراهيم ياسين الخطيب ، توظيف التعليم في العصر الأيوبي لتحرير القدس .

١٠- محمد علي البار ، خلق الانسان بين الطب والقرآن .

١١- عبد الله عبادة ، الطب في القرآن .

الفهرس



الدار العلمية الدولية
للنشر والتوزيع

دار الثقافة
للنشر والتوزيع

عمان - ساحة الجامع الحسيني - سوق البتراء - عمارة الحجيري
هاتف ٤٦٤٦٣٦١ فاكس ٤٦١٠٢٩١ ص.ب ١٥٢٢ عمان - الأردن